نرمين الشناوي

وَيُصلِحُ بَالَهُم

رحلة الوصول إلى نفس هادئة مطمئنة

ملهمون
للنشر والتوزيع MOLHIMON

مكتبة

وَيُصْلِحُ
بَالَهُمْ

نرمين الشناوي

مكتبة
t.me/soramnqraa

وَيُصْلِحُ بَالَهُم

ملهمون
MOLHIMON للنشر والتوزيع

◀ **الكتاب:** وَيُصلِح بَالهُم
◀ **المؤلف:** نرمين الشناوي
◀ **التصنيف: تطوير ذات**
◀ **الناشر:** دار ملهمون للنشر والتوزيع
◀ **التصنيف العمري: E**
◀ **الطبعة الأولى:** يناير 2024

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقًا لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

◀ **الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978-9948-780-93-9**
◀ **إذن طباعة: MC-10-01-3522332**

جميع حقوق الطبع و إعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لملهمون للنشر والتوزيع، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من ملهمون للنشر والتوزيع.

◀ **الطباعة:**

darmolhimon
www.darmolhimon.com
0097165551184
SILICON OASIS, 20TH FLOOR (SIT TOWER) - OFFICE 2004, Dubai, UAE

الباب الأوَّل

إياك
منك
وإليك

ما تُعانيه من مجاهدة ومكابدة لاستقامة النفس في رحلة الحياة، يجب أن يكون دافعه واضحًا ساطعًا لك، تعرضه على قلبك مرارًا.

فإن لم يكن الله تعالى هو المقصد؛ لصعب عليك مواجهة الكثير في الطريق، ولتخلَّيت عن مشقة الطريق القويم مع أول نازلة، ولاخترت راحتك المؤقتة، ولاستسلمت لمُغريات الحياة وللذات المعاصي.

وستجد في هذا الكتاب، أيها القارئ الكريم، سطورًا قد تُساعدك في رحلتك، استقيتها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ﷺ عساها تكون لك شمعة على دربك في رحلة تزكية نفسك، وشفيعًا لى عند الله تعالى.

وليكن مقصدنا هو الله تعالى

إياه نعبد

منه الهدى

إليه المصير...

ماذا يريد الله بي؟

أتريد أن تعرف ماذا يريد الله بك؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٨]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٦]

هذا ما يريده الله بك، فقط إن سلكت الطريق الصحيح، وقد بيَّنه الله تعالى لنا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]

إذا أردت الفوز بكل ما سبق عليك أن تُحقق الشرط، وهو اتباع طريق الله تعالى، ولن تجد طريقًا أقصر إلى مرضاة الله تعالى إلا الطريق المستقيم، فاستقامته هي ما جعلته قصيرًا، مُنجزًا موصلًا إليه تعالى، وإن كان محفوفًا بالمكاره!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

عندما خلقنا الله تعالى أوضح لنا سبب خلقه لنا بكل وضوح وهو «العبادة».

ماذا لو لم تكن عبادة الله تعالى هي الهدف من هذه الحياة؟

أو: ماذا لو لم يوضح لنا الله تعالى سبب خلقه لنا؟

تصوَّر معي لبرهة....

الحياة مليئة بالظلم والاضطهاد، وربما غلب الشر الخير كثيرًا -أو هكذا نظن- وهذا يمكنه أن يجعلنا نقع في فخ مظلم اسمه «مُعضلة الشر».

لم أقل لك تعالَ نتصور عدم وجود خالق؟...

ولكني قلت: تعالَ نتصوَّر أننا خُلقنا ولم يبيَّن الله تعالى لنا سبب خلقه لنا.

إن الشر موجود.. ظلمًا... اضطهادًا...

أسئلة لا إجابات شافية لها...

ماذا عسانا أن نفعل؟!

ننظر لنصفِّق للمنتصر وإن كان جائرًا؟!

هل نضحك على المهزوم وإن كان مظلومًا؟!

هل نقف كمتفرجين فقط...لا ندرى لأي فريق ننحاز؟!

هل علينا أن نختبئ حتى تنتهي دورة حياتنا بسلام كالديدان؟!

ما هو الهدف؟

الحياة ليست بهذا الجمال كي تكون وحدها هدفًا للشخص السوي المتزن؛ لسبب بسيط، لأنها ليست أبدية!

ففي كل يوم يموت الآلاف.... ونحن في قائمة الانتظار!

ما الهدف؟

فطرة الإنسان السوي تكره أن تعيش حائرة..

متخبطة ...

بين الأبيض والأسود!

الخير والشر!

لا هدف حقيقيًا تستند إليه لمقاومة هذا الصراع!

ربما تتعجَّب الآن حينما أقول لك: إن الأمر الوحيد الذي ينقذ عقولنا من الجنون والاكتئاب الحاد والحيرة المُهلكة، هو: «الهدف الواضح من الحياة».

أي العبادة!

العبادة بمعناها الحقيقي: تسليم الإنسان كل أموره، حتى شعوره لمعبوده؛ فيستمد من هذا التسليم القوة التي يحتاجها..

يكره الشر، ولكن يعلم أن الشر له دور في هذه الحياة، ومنها أن على الإنسان مقاومته، أو على الأقل عدم اتباعه حتى ولو كان منتصرًا، ويتكبَّد معاناة معاندته ومعاندة أهواء نفسه للميل إليه، فالنفس الضعيفة يأسرها القوي،

وتغتر بالمنتصر!

عليه أن يُساند الحق...حتى وإن كان وحده!

لماذا؟ لأن معبوده أمره بذلك، هذا هو هدفه.

عليه مقاومة من رفضوا الخضوع لمعبودهم، وقرروا أن يتبعوا شياطينهم.

حتى وإن كانت مقاومته في عدم اتباعه لهم.

لا توجد معضلة «الشر»... توجد معضلة «الهدف».

فاقد «الهدف»، أو بمعنى أصح «فاقد المعنى الحقيقي للهدف»، هو في الحقيقة فاقد «بوصلة» الحياة.

يسلك السبل المظلمة، ويتخبط لا يشعر بالمعنى.

ولإجابة سؤالك، الذي أعلم جيدًا أنه قفز إلى ذهنك الآن.

فنعم... العبادة بمعناها الحقيقي هي «الخلاص».

لأنها هي الطريق الوحيد الذي إن ركزت عليه؛ تلاشت الأوهام والهواجس النفسية من حولك، ولاستطعت أن تفهم اللغز الذي حيَّر الكثير، وأضلهم السبيل.. وهو الإجابة على «لماذا»؟

لأن الإجابة تمس كبرياءهم، الإجابة ببساطة هي:

«لأني خُلقت عبدًا، والعبادة هي الهدف».

مكتبة
t.me/soramnqraa

لا تقربا هذه الشجرة
لا تعدوا في السبت!

كثيرًا ما كنت أتساءل عن الشجرة التي نهى الله تعالى سيدنا آدم عن الاقتراب منها...

فهو تعالى نهاه عن الاقتراب دون أن يوضح له السبب، ولكنه تعالى أوضح له عاقبته إذا خالف النهي..

طبيعة عقل الإنسان هي التفكير والتحليل، خصوصًا في الأوامر والنواهي، ولا يهدأ حتى يجد الإجابة،

فأول ما يُتبادر إلى ذهن الإنسان..... لماذا؟

ما هو سبب هذا الأمر أو النهي؟

ما هي الحكمة؟

وهكذا... والحقيقة أن معنى العبودية الخالص هو تنفيذ ما يُملى على العبد دون التحقق مما وراء قصد مولاه..

وهذا ما أراد الله تعالى تعليمه لآدم عمليًا قبل نزوله إلى الأرض.. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ [البقرة: ٣٥]

ولم يبين الأسباب.. ومن منَّا يعلم حقيقة الشجرة؟

من لا يفهم كنه العبودية سيقول الأقاويل، وسيلتمس لآدم الأعذار..

والحقيقة أن الله تعالى بالفعل تاب على آدم بعد أن علمه كيف يستغفر ويتوب.

وبعد أن علمه بطريقة عملية معنى العبودية.

وبعد أن عرفه عدوه الحقيقي الذي يريد أن يبعده عن الجنة، وكأنه تدريب عملي قبل بدء الاختبار!

والسؤال: ماذا إن لم تقتنع عقولنا بشيء قد نهانا الله تعالى عنه؟

فوجدت بالفعل الإجابة في مثال قريب من مثال الشجرة... وهي قصة أصحاب السبت.

والقصة لمن لا يعرفها باختصار هي أن الله تعالى نهى أهل قرية من بني إسرائيل عن الصيد يوم السبت؛ حيث إنه يوم مخصص للعبادة، وكانت فتنتهم أن الأسماك تأتي بكثرة يوم السبت، ومهنتهم كانت الصيد.

تبادر السؤال الأزلي في أذهانهم: لماذا؟!

ما هي الحكمة؟!

ولأن الإجابة تتلخص في كلمة «العبودية» لم يخضع تفكيرهم لها..

فتحايلوا ووضعوا شباك صيدهم يوم الجمعة، وأخذوا ما اصطادوا يوم الأحد؛ فاستحقوا العقاب والمسخ، فالتحايل على الأمر بمثابة مخالفته.

بعض الأمور في حياتنا تمرُّ علينا، لا نفهم الحكمة من ورائها..

وكأن علينا أن لا نقرب تلك الشجرة، أو أن لا نعدو في السبت...

فتتشتت عقولنا..

ولا يكف العقل عن طرح أسئلته علينا؛ فتتغيَّر قلوبنا، ولكن إن فهمنا معنى العبودية الصحيح، وأن هناك أمورًا علينا فقط التسليم لها، بل والثناء والحمد عليها ونحن لا نفهمها؛ لهدأت عقولنا التي أتعبناها ولم نصل بها إلى شيء، ولسهَّل علينا التسليم والاحتساب، ولراق القلب، وذاق حلاوة القرب، وتحققت العبودية السليمة!

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦]

سورة البقرة تشمل المعاني الحقيقية للعبادة والعبودية وهي:

التسليم.

الإخلاص.

السمع والطاعة.

التقوى.

الصبر.

والتوكل.

تصوّر بآياتها قصصًا تكاد تراها بعينيك، وتسمع الحوارات بأذنيك، بداية من حوار الله تعالى مع الملائكة وسمعهم وطاعتهم له بالسجود لآدم، وانتهاء بدعاء المؤمنين، وتعهدهم بالسمع والطاعة لله تعالى.

سورة البقرة تحتاج كتبًا تُفرد فيها وحدها لتأمل معانيها، فهي غزيرة المعاني.

آيات في العقيدة.

آيات تشريع.

آيات تحمل لنا قصصًا وعبرًا.

تحملنا الآيات، وتحلق بنا في الآفاق حتى يستقر في الوجدان حقيقة واحدة ألا وهي... ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦]

لا تكن قابيلَ

لا تكن قابيلَ...

عندما قتل قابيلُ هابيلَ لم يكن هذا القتل وليد لحظة غضب، فلم يكونا يتصارعان أو يتبادلان الشتائم..

لقد كان القتل مرتبًا ومخططًا من قبل كلٍّ من الشيطان وقابيل.

لماذا كان كل هذا الحقد؟!

كان هابيل مسالمًا، متواضعًا، محبًّا، راضيًا بما قسمه الله تعالى، حريصًا على مرضاة الله، يقدم أفضل ما عنده كقُربان لله تعالى، مع معرفته أن النار ستأكله إن قدم الأفضل، فكانت أمنيته أن تأكل النار ما يقدمه؛ كي يستشعر مرضاة الله تعالى..

فكيف لا يحبه الله؟!

ويأتي قابيل على النقيض، يفكر في نفسه وما يملك، ويختار ما يشعر أنه في غنى عنه ليقدمه كقربان.. ويقول في نفسه: لن أقدم أغلى ما عندي للنار.. ونسي أن النار علامة القبول أو الرفض.

النار كانت فتنة.

وبعد أن يتم رفض قُربانه، ويقبل قُربان أخيه، يستغرب

ويستنكر.. ويشعل الشيطان فتيل الكراهية في صدره..

رغم نصيحة أخيه له.. إن الله لا يتقبل إلا ممن أخلص نيته.

قابيل أراد أن يعبد الله تعالى كما يرى هو، وليس كما يريد الله.

وعندما لا يلتمس القبول والتوفيق يستنكر...

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧]

لا تكن قابيلَ... كم من مصلٍّ لا تقبل صلاته!

هناك من يصلي، لكن كما يريد هو وليس كما يريد الله، فلماذا يريد أن يتقبل الله؟ تمامًا كقابيل ... قدَّم ما يراه هو لله وليس المفترض واللائق أن يقدمه فلم يتقبل الله منه.

لا تكن قابيلَ... هناك من يعتمر كل عام، ولكنه يبخل أن يساعد الفقراء، أو تراه لا يصل رحمه، أو ربما كان فظًّا في التعامل مع الناس.. يعبد الله تعالى كما يريد هو وليس كما يريد الله.

فلماذا يريد الله أن يتقبل عمله؟!

لا تكن قابيلَ... يختار الله تعالى ما يراه في صالحنا من أقدار، وتكون أحيانًا بعض الأقدار فتنة..

فمنّا من يصبر، ومنّا من يقول: ولماذا أنا؟!

تمامًا كقابيل الذي اعترض على حكم الله تعالى في الزواج وأراد أن يتزوج هو من أخته، ولكن الله حكم أن

يتزوج من أخت هابيل.

«لماذا أنا»؟!... كانت مدخل الشيطان الذي استطاع النفاذ منه لقلبه وإشعال فتيل الكراهية الذي لا يطفئه إلا.. القتل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة: ٣٠]

لا تكن قابيلَ..لا تدع الكراهية والغيرة والمقارنة تُعميك عن نفسك وحالك..

راجع حساباتك مع الله دائمًا، ولا تقل لماذا هذا، ولماذا ذاك؟

ولكن قُل: كيف لي أن ألقى الله تعالى بوجه مسفر ضاحك مستبشر؟

لا تكن قابيلَ... بل كُن كما أرادك الله أن تكون له....

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٠]

كانت تمر عليَّ هذه الآية مرور الكرام، ولم تستوقفني كي أتأملها حتى يستقر معناها في القلب..

وعندما استوقفتني مرة، وجدتها تحمل معها أسرارًا وكلمات وأحاديث ووعودًا ودواء، والأهم عرفتني باللّٰه سبحانه وتعالى أكثر.

فقد قالها اللّٰه تعالى في مواضع كثيرة، شرحًا لا لفظًا.

يقولُ اللّٰه تَعالَى في حديث قدسي: « حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ - وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ - قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: يَقُولُ اللّٰه : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

فإذا كان إحسانك شبرًا أيها العبد في الدنيا، فإحسان

ربك لك لهذا الشبر ذراعًا..

وروى مسلم من حديث أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله -عز وجل-: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلها أو أغفرُ، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة»[1].

فهذه معاملة المحسن الجوَّاد لك أيها الإنسان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [ق: ٣١]

فكما كنت تحسن بالتقوى في الدنيا تقربًا إلى الله تعالى، يحسن الله تعالى لك بتقريب جنته إليك في الآخرة، فلا تتعب للوصول إليها، وهذه بداية النعيم في الآخرة.

وغيرها الكثير والكثير من الآيات والأحاديث التي تُشير إلى إحسان الله تعالى إلى عباده..

إن الله تعالى يحب الإحسان والمحسنين، وهذا المعنى كفيل أن يجعل الإنسان الفطن في حالة من الاحتساب الدائم.

حالة من الطمع في إحسان ربه إليه، وهذه الحالة ستحفزه إلى إحسان عمله، وتخليصه من ملوثات الرياء وطلب الدنيا، وانتظار مردود البشر.

---

(١) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، رقم (٢٦٨٧)

استحضر دائمًا هذه الآية كلما حاولت نفسك أن تجذبك لقاع الحزن والضيق، واستبطاء الأجر، كلما حاول الشيطان أن يُبعدك عن مواطن الإحسان بتعرية سلوك البشر أمامك لإظهار جحودهم لك، وتذكر قوله تعالى:

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس: ٢٦]

والزيادة قيل هي النظر إلى وجهه الكريم، فأي إحسان آخر تريده أيها الإنسان بعدها!

لا تنتظر رد إحسانك من البشر، بل كُن ذكيًا وانتظره من رب البشر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ ﴾ [الكهف: ٦٨]

تأملت الآية الكريمة في سورة الكهف... ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الكهف: ٦٨]

نعم... كيف تصبر على ما لا تعلم بالحكمة من ورائه؟!

لقد كان الخضر -عليه السلام- يعلم ذلك، فنبَّه سيدنا موسى لهذه الحقيقة البشرية، ألا وهي عدم الصبر على معرفة الحكمة من وراء حوادث ونوائب وغرائب الزمن.

وكما توقع الخضر -عليه السلام- فلم يستطع سيدنا موسى الصبر على ما كان يرى... وما أشد وقع ما رآه سيدنا موسى على نفسه!

ولكن تبينت له الحكمة بعد ذلك، وجاءت الآية الكريمة... قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٨٢]

لتوضح لنا أن كل ما يحدث ونحسبه شرًّا لنا أو نحسبه من المصائب، ما هي إلا رحمة من ربنا تعالى لنا ولا دخل لبشر فيها.

فما البشر إلا منفذون لمشيئة الله تعالى.

وما مشيئته إلا رحمة لنا.

إن علمنا أن الخير بعينه يقبع داخل ما نحسبه شرًا لنا، لصبرنا..

إن أحسنا الظن بالله تعالى، ووكلناه أمرنا لصبرنا..

إن كان عندنا يقين أن أمر المؤمن كله خير لصبرنا.

فقد قال تعالى: (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)، ولم يقل بعد... فاليسر جاء مُصاحبًا للعسر، ولكن اصبر.

إن علمت جزاء الصبر فسوف تحبه، بل ستدمنه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾

[الزمر: ١٠]

أي تدخل الجنة بدون حساب... وأي شيء يمكننا أن نطمع فيه أكثر من هذا؟!

إن نزلت بك نازلة، فاصبر صبرًا جميلًا..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٥]

تناسي الذنب

إحدى الآفات النفسية الخطيرة التي يجب الانتباه إليها هي تناسي الذنب.

تميل النفس إلى تخدير الضمير، وإشعاره بأن الأمور على ما يرام، حتى يستطيع الإنسان التعايش مع نفسه ومواصلة حياته دون مُنغصات، ودون التنازل عن كبريائه المزعوم!

فترى النفس تذكِّر الإنسان بفضائله، وتجعله يتناسى ذنوبه، بل ربما تبررها له حتى يستسيغها، أو يعتبرها فضائل هي الأخرى!

الإنسان لا يحب أن يواجه نفسه كثيرًا بذنوبه، لأن البعض يظن أن هذا سيضعفه ويورثه الهوان، وبالتالي ينسى أن يتوب عنها؛ فتكون العاقبة وخيمة وهي «نسيان الذنب».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف: ٥٧]

فالتناسي عقوبته النسيان.

الجزاء من جنس العمل!

ويتفاجأ بسوء المنقلب لسبب بسيط.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم: ٦٤]

فإذا نسي أو تناسى الإنسان ألمًا سببه لشخص ما مثلًا، حتى يعيش محبًّا لذاته فخورًا، فإن الله تعالى لا ينسى أبدًا وسيحاسبه عليه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر: ٥٣]

فلا تجعل نفسك تخدعك؛ حتى لا تتفاجأ بما يُفجعك، وبادر بالتوبة والتصحيح قبل أن تُنسى!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الكهف: ٣٥]

قالها صاحب الجنتين لصاحبه حينما دخل جنته ورآها جنة غناء، مليئة بالثمار...

غرته النعم فنسي المُنعِم.

شعر بالقوة والاستغناء بها.

حسب أن لن يقدر عليه أحد...

وكان عقابه في ذات الشيء الذي شعر بالاستغناء به عن الله تعالى..

فتنة صاحب الجنتين تتكرر كثيرًا...

فكم مَن شعر بقوته الجسدية، فشعر بالاستغناء والقوة، وبدلًا من شكر الله تعالى، أصابه الغرور، واستقوى على من هم أضعف منه؛ فسلبه الله تعالى قوته!

وكم مَن اغتر بذكائه، واستخدمه بشكل خاطئ؛ فسلبه الله تعالى عقله!

كثيرة هي الأمثلة والنماذج.. وقليل من يعتبرون!

هناك من يعتقد أن الفتنة في الدين، وفي الأمور الظاهرة، كالمال والولد..

ولكن ربما تأتي فتنتك فيما تظن أنه أمر مفروغ منه لديك..

ربما جاءت لتمتحن أخلاقك الحقيقية...

فكم من تفاخر بتربيته وأخلاقه وتغنى بها، وعندما يستفزه أمر ما أو شخص ما، تجده يسير بين الناس كاسرًا للخواطر، واشيًا بين الناس، مدعيًا عليهم بما يسوء، معللًا أنه ناصح، يُنير للآخرين السبل.. ثم يأتيه عقابه من حيث لا يحتسب، عقابًا يفضح أخلاقه الحقيقية!

صاحب الجنتين يُمثل منهج وطريقة تفكير الكثير من البشر، الاطمئنان والركون للحياة الدنيا... والأمن من مكر الله تعالى!

وصفت الآية الكريمة صاحب الجنتين بأنه ظالم لنفسه... فالإنسان يكون ظالمًا لنفسه قبل أن يكون ظالمًا للآخرين، لأنه معاقب لا محالة إن لم يتب.

صاحب الجنتين كان مثالًا للاعتبار... ولكن هل من معتبر؟!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

[الكهف: ٥٤ - ٥٥]

تأمُّلات في رحاب الكهف

وقفة مع سورة الكهف..

كلما تأملت قصة سيدنا موسى مع الخضر، تُلهمني الآيات شيئًا جديدًا...

ثلاث القصص تُمثل لنا ثلاثة أنواع من الأمور الحياتية التي تمرُّ في حياة أي إنسان..

١- قصة خرق السفينة:

تُمثل الأمور المزعجة التي تحدث، وتعكر صفوك، ولكنك ما تلبث أن تعرف الحكمة من وراء حدوثها؛ فيتحول حزنك إلى حمد وشكر.

فأهل السفينة حتمًا أدركوا وجود المغتصب بعد الحادثة، ففطنوا إلى أهمية الخرق بها.

هناك من فاتته طائرة، فتضايق لهذا الأمر، ثم تبيَّن له لاحقًا أن الطائرة انفجرت.

وأمثلة كثيرة من المؤكد أنك مررت بواحدة، عندما قلت حينها: الحمد لله الذى منع عني ما أردته أو سعيت له.

٢- قصة قتل الغلام:

تُمثل الأحداث التي من شأنها أن تُدمي قلبك، ولن تعرف الحكمة من وراء حدوثها إلى يوم القيامة. فهل تعتقد أن أهل الغلام علموا بنبأ مستقبل ابنهم المقتول؟ لم تخبرنا الآيات عنهم، إلا أن الله تعالى رزقهم من هو أرحم بهم من الآخر، فهم لن يعرفوا الحكمة من وراء قتل الغلام إلا يوم القيامة، وهذا اختبار صبر وإيمان.

وهكذا نحن... هناك أشياء لن نعرف لماذا حدثت لنا، ولكن يجب أن نثق في حكمة الله تعالى ورحمته بنا، وأنه دائمًا يُبدلنا الخير، ولكن علينا الصبر، وأن نُحسن الإيمان به.

فهناك أشياء تحدث لك وطعمها مر، ولكنك ستجد ثوابك في الآخرة عنها زخرًا.

٣- جدار اليتيمين:

تُمثل القصة الجبر الذي تجده من الله تعالى عندما تشعر أنه يسخر لك من يقضي حاجتك دون حتى أن تطلب.

عن العجائب الرائعة التي تراها، والتي تعتقد أحيانًا أنها من محاسن الصدف، وتجد نفسك تقول: شيءٌ لا يصدق!

ولكنه في الحقيقة من تدبير الله تعالى لك فدائمًا اجعل بينك وبين الله خبايا صالحة، واتقِ الله تعالى، وأحسن وأنت واثق أنه لا يضيع أجر المحسنين، حتى في أولادهم.

نحن نختبر ثلاثة الأشياء السابقة في حياتنا، ولا يتبقى إلا أن نتحلى بيقين أن أمر المؤمن كله خير طالما هو بيد الله تعالى.

فاطمئن.

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ ﴾ [الضحى: ١]

سورة الضحى، من أحب السور إلى قلبي، فهي تُنبهنا إلى شيء عظيم، أن الله تعالى عندما يُواسي عبده لا يواسيه بآيات تُعانق قلبه وتدغدغ مشاعره وتطيب خاطره فحسب، بل يتبعها بآيات فيها نوع من الاستفاقة وتوجيه فكري للحقائق والمطلوب الأهم، والدفع إلى العمل للآخرة، رغم ما نجده من مصاعب في الدنيا.

فكان القسم بـ ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ [الضحى: ١ - ٢]

وكان جواب القسم ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [الضحى: ٣]

ثم جاءت آية الصحوة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ ﴾ [الضحى: ٤] أي ما تجده الآن من نَصَب وضيق فهو طبيعي في الحياة الدنيا، وهذا ما يجعلنا في شوق للآخرة والعمل لها.

وهكذا تتابعت الآيات، تحض على الإحسان والإنفاق والامتنان.

نعم، يجب أن يكون هذا منهجنا في الحياة، ألا وهو العمل.

فلا ننساق وراء مشاعرنا.

ولا يكون همنا جبرنا العاجل.
لا نستكين، لا نعجز.
ولا نجعل ما نشعر به يُنسينا ما خُلقنا لأجله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

آية مريحة جدًّا للنفس، يشعر من يسمعها أنها الخلاص له من الكثير من الأحمال التي يراها ثقيلة على عاتقه، فتراه يتملص من بعض المسؤوليات بحجة أن الله لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، يختار أقصر وأسهل الطرق، ويرفض أن يحمل نفسه أي عبء زائد، ولا يفكر من الأساس إن كان يستطيع التحمُّل أم لا.

حالات كثيرة من الطلاق والتفكك الأسرى بسبب الفهم الخاطئ للآية الكريمة.

إذا أمعنا التفكر في هذه الآية؛ سنجد أن الله تعالى يصرح فيها أنه لا يوجد تكليف كلفه الله لك أيها الإنسان إلا وكنت قادرًا عليه..

وليس معناه أنه ليس عليك أن تجتهد أو تتعب نفسك أو تتحمَّل....

فعندما كلفك ببر الوالدين مثلًا، جعل الحالة الوحيدة التي تسمح لك بعصيانهما هي أن يدعواك للإشراك بالله تعالى أو لارتكاب معصية، ولكن عليك بالإحسان إليهما على قدر استطاعتك في كل الأحوال.

عندما نهى عن الزنا وشرب الخمر لم يضع استثناءات،

لأن الإنسان قادر على كبح شهواته ومجاهدة نفسه.

إذًا.. فاللّه تعالى لن يكلف بشيء خارق أو أكبر من قدرة الإنسان، وحتى في المرض والسفر والقتال، وضع اللّه الرخص الواضحة القابلة للتنفيذ.

فلا تُسِئ استعمال هذه الآية الكريمة؛ لتبرر بها تقصيرك، فالأصل هو المُجاهدة والصبر، وليس الراحة والاستسهال!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ١٠]

كلمة لها تأثير سحري في القلب!...

عندما تدعو لشخص وتقول له: «يسر الله تعالى أمرك»، فإنه يستبشر ويطمئن قلبه.

فهي كلمة... وقع حروفها كالبلسم على المسامع

ولكن...

عندما تقرأ الآية ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ١٠] تبدأ نبضات قلبك تتسارع، ويقشعر جلدك، لا بِشر، ولكن تتسارع خوفًا ورهبةً..

فالتيسير هنا ليس محمودًا، ليس مطمئنًا كعادته،

بل هو استدراك..

استدراك للعسر، لسوء الخاتمة والمنقلب.. لا تغتر ولا تفتتن بمن تتيسر أمورهم وهم على معصية أو ضلال.

لا تقل: لماذا لا يُعاقبهم الله تعالى؟

لماذا لا ينفضح أمرهم؟

لماذا أرى الدنيا تفتح لهم ذراعيها رغم بغيهم؟

فلتدرك أن هذا من سوء عملهم!

نعم، تيسير ثم تيسير لطريق لا تحمد عقباه.

فاليسر لهم هو عين العسر في الحقيقة.

ومن ناحية أخرى، ما تعتقده عسرًا في حياتك، ربما يكون هو عين اليسر...

فربما منعك الله تعالى ما منعك إياه؛ كي لا تتكبر أو تتجبر أو تَحيد عن طريقه؛ فيكون التعسير هو عين التيسير للعاقبة المحمودة.

فلا تقنط ولا تحزن، ولا تستغرب، وتذكر أن هناك تيسير هداية، وهناك تيسير استدراك، والعاقبة هي الفيصل!

عبادة التفقد

هي نوع من أنواع جبر الخواطر، عندما تتفقد أحوال من تعرفهم.

تسأل عنهم.

تصلهم وإن قطعوك.

للأسف الكثير يتعمَّد ألا يسأل إلا عمن يسأل عنه فقط، بل إن هناك من لا يأبه من الأساس...

ولكن...

تخيَّل معي...

عندما نكون في مجتمع نتفقد فيه أحوال بعضنا البعض..

نحاول ترميم أرواحنا معًا.

نُساعد المحتاج بيننا.

نُساند بعضنا.

كيف سيكون حال مجتمعنا؟!

هل سيكون للاكتئاب مكان؟!

هل سيوجد من سيستوحش الحياة فيقوم بالانتحار؟

تبًّا لهذه الأنانية التي يدعو لها البعض، والتي لا تُركز إلا

على «الأنا»!

تبًا للتحامل والكبر وكل ما يدعو للقطع لا الوصل!

تبًا للخوف من التواصل، والهوس من الحسد!

تبًا ثم تبًا لكل شيء يُبعدنا عن إنسانيتنا، وتحقيق الإيمان السليم!

قال رسولنا الكريم (ﷺ): « تَرَى المُؤْمِنِينَ في تَراحُمِهِمْ وتَوادِّهِمْ وتَعاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَداعَى له سائِرُ جَسَدِهِ بالسَّهَرِ والحُمَّى»[1].

تفقدوا أحوال بعض، ولنتراحم.. ففي التفقد حياة للقلوب!

---

(١) الراوي : النعمان بن بشير،المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم ٦٠١١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٨]

قرأت منشورًا مؤخرًا يحثُّ على الرضا بالحال، ورغم أن قصد المنشور كان نبيلًا، إلا أنني لم أستسغ ما ساقه من أسباب وأمثلة.

فمثلًا، قال الكاتب إنه وجد شابًا يقود سيارة باهظة الثمن، وعندما اقترب منه وجد قدميه مبتورتين..

وآخر فاحش الثراء، ولكن لديه فشل كلوي...

وأوصى أن يرضى الكل بحاله..

لماذا لم أستسغ هذه الأمثلة؟ لأنه ليس هذا ما أراده الله تعالى منا كي نرضى.

لا يجب أن نقرن رضانا بحالنا بمراقبة مصائب غيرنا.

ولكن...

إذا رأيت خيرًا على إنسان وفضلًا من الرحمن، فبارك له، وتذكَّر قصة سيدنا زكريا -عليه السلام- عندما دخل المحراب على السيدة مريم، ووجد عندها ما لذَّ وطاب من الطعام، سألها: من أين لكِ هذا؟! قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ

﴿ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران: ٣٧]

لم يحسد زكريا مريم -عليهما السلام- ولم يبحث عن أي نقيصة بها كي يرضى بحاله، ولم يسأل نفسه: لماذا هي وليس أنا؟! ولكنه انتبه لشيء عظيم... انتبه لقدرة الله تعالى وفيض عطائه بدون حساب.

هنالك دعا ربه وهو في ذات المحراب، وبشَّرته الملائكة بسيدنا يحيى -عليه السلام- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ ﴾ [آل عمران: ٣٨ - ٣٩]

نعم... هذا هو المطلوب...

إذا رأيت نعمة ما على أخيك، فليس بالضرورة أن يكون يُعاني من مصائب في المقابل..

فهناك من أنعم الله تعالى عليه، فشكر فزاده الله تعالى من النعم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ ﴾ [إبراهيم: ٧]

عندما ترى ما يُدهشك تذكَّر المنعم الرزاق، وهنالك أُدْعُهُ بما شئتَ، وتذكر قوله تعالى: ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ﴾ [الإسراء: ٢٠]

الإيمان

يزيدُ وينقصُ؟!

نعم... ولِمَ لا؟!

فهو كغيره من الخصال القلبية والنفسية، إذا تعرَّضت لما يُغذيه تعرضًا كافيًا زاد وترعرع، وإن ابتعدت عن مورده نقص وتزعزع.

يزيد الإيمان بتعرض القلب المستمر للقرآن، وما يُساعد على تدبره وفهمه، (أي تلاوة آياته تلاوة الباحث عن الحق، تلاوة الذي يريد الفهم).

يزيد الإيمان بالصحبة الصالحة الناصحة، وبالممارسة والتطبيق.

الإيمان ينقصُ كلما عرضت قلبك لما يُنافيه من آداب وعادات وأخلاق..

عند هجرك للقرآن وتدبره..

ينقصُ عند تغليب الشهوات..

يخفت عندما تترك لنفسك لِجَامها.

ولكي تعرف في أي حال أنت من الإيمان، انظر إلى من في يده جهاز التحكم في حياتك وأمورك الحياتية والنفسية.

إن كانت نفسك هي التي تتحكَّم فيك، وتقوم بتوجيهها

(وهذا تعرفه عندما تتبع شهواتك وتغلبها على أي شيء)؛ فاعلم أنك تُعاني من نقص حاد في الإيمان، وعليك أن تذهب لأقرب محطة وقود قلبي للاستزادة.

وإن كنت تُنهي نفسك عن الهوى، فاعلم أنك من تتحكَّم في نفسك، ولكن عليك أيضًا أن تستزيد من وقود الإيمان، لأن مجاهدة النفس تستنفد الطاقة، وتُشعرك كأنك تصعد في السماء؛ فتشعر بالاختناق وضيق الصدر، وهذا ما تفعله نفسك بك؛ كي تظهر عليك... فلا تقع في الفخ!

لتكن الاستزادة والتعرض القلبي للطائف الله وصفاته هو أسلوب حياتك، ودائمًا تفقَّد منسوب الإيمان في قلبك، فهو الشيء الوحيد الذي في يدك فعله للخروج الآمن من هذه الحياة الدنيا!

اِلحق نفسك!

كنت أقرأ في سورة آل عمران، وهي من أحب السور إلى قلبي، استوقفت قلبي هذه المرة كلمة، وتنبه العقل لها، ألا وهي كلمة...«سَارِعُوا».

عندما تهتم لأمر شخص ما، فأنت تحفِّزه على الإسراع باللحاق وإدراك ما ينفعه، وتُحفزه بكلمات مثل: أسرع، حاول اللحاق، تشجَّع... وهكذا.

فنبهتني كلمة «سَارِعُوا» وشعرت بها؛ ليأتي بعدها منتهى أمل أي إنسان... الجنة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

ولكن هذه الجنة أعدها الله تعالى «للمتقين».

ولطالما شعرت بجلال وسطوة تلك الصفة «المتقين».

فالتقوى صفة «الصفوة»، ولكن ما أثَّر في نفسي حقًّا هو التفصيل الذي جاء بعد كلمة المتقين، فجاء بعدها

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

نعم، من الطبيعي من جاء ذكرهم في الآية أن يكونوا من المتقين فهم من الصفوة، ولكن.. لم تتوقف آيات تفصيل المتقين هنا، بل هناك فئة أخرى تنضم لفئة المتقين، وهي فئة «الذين فعلوا فاحشة»!

نعم، فعلوا فاحشة وظلموا أنفسهم، ولكنهم ذكروا الله تعالى واستغفروه ولم يصروا على ما فعلوا.

نعم، فعلوا فاحشة وظلموا أنفسهم، ولكنهم سارعوا؛ فلحقوا بركب المتقين، ركب الصفوة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]

ما أجمل رحمتك وإحسانك يا رب! لا تقنط، لا تيأس، لا تفتر، بل سارع وألحق نفسك بركب المتقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ﴾ الشعراء: ٥٠

كلما مررت على قصة سحرة فرعون، أقف أمامها في حالة ذهول، وأنا أتخيَّل المشهد!

مشهد السحرة وهم يلقون عِصيَّهم، ويتباهون بقدراتهم السحرية، وفجأةً ينقلهم إدراك الحقيقة من حالة إلى حالة، من حالة الركون إلى الدنيا وطلب الجاه والفخر بما يتمتعون به من قدرات ومواهب، إلى حالة من الزهد العجيب في الدنيا وطلب الآخرة، والطمع في مغفرة الله تعالى على ما اقترفوه!

لا ضير.....

قالوها بعد أن علموا ما سيفعله فرعون بهم من تنكيل وعذاب.

لا ضير....

قالوها بعد أن تمكَّن اليقين منهم، وبلغ الإيمان ذروته في قلوبهم؛ حتى إنهم خروا سجدًا..

لقد سمحوا للإدراك أن يقوم بمهمته داخلهم، فقام الإدراك بمهمته بمجرد أن استلمها؛ فأزال الغشاوة من على أعينهم، وأزاح ران الغفلة عن قلوبهم، وأنار العقل بالحقيقة

والقلب باليقين؛ فسحقوا الكبر بسجدة؛ ليخلد ذكرهم في كتاب محفوظ.

لا ضير....

هكذا يفعل الإدراك بك أيها الإنسان، فقط إن سمحت له، وسحقت الكبر!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ الكهف: ١٩

كلما مررت على هذه الكلمة في سورة الكهف؛ أجد لها وقعًا فريدًا في نفسي.. «التلطف»، كلمة فيها رقة وخفة وعذوبة، لين وسهولة.

للأسف البعض يعيش في هذه الحياة ثقيلًا،

ثقيلًا في حلوله، ثقيلًا في رحيله.

ثقيلًا في كلامه..

ثقيلًا في طلباته...

يسبب لنفسه ولغيره مشاكل..

يريد أن يكون مركزًا للاهتمام

فيكون عدم وجوده راحة لمن حوله!

وهناك من يتخذ التلطف أسلوبًا في حياته، يتعامل برشاقة مع الآخرين، لا يثقل على غيره ولا نفسه،

طلباته موجزة، حتى إنه لا يكاد يوجد من يحمل له همًّا.

التلطف جاء في سياق الآية كنوع من الحماية، وسبيلًا مضمونًا لإنجاز المهمة، فمن تلطف لن يحدث صخبًا ولن يسبب نصبًا.

التلطف إحدى الخصال التي تُعين الإنسان في رحلته الدنيوية المؤقتة، والتي تُساعده على إنجاز أمور دينه ودنياه بهدوء، دون أن يسبب لنفسه أو لغيره مشاكل أو هزائم؛ وبالتالي تكون رحلته خفيفة والفلاح حليفه.

التلطف عزة للنفس، استغناء، إيجاز في الطلب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الكهف: ١٩]

فلنتلطف

رمزية السجود!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَجَدُوٓاْ ... ﴾ [البقرة: ٣٤]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾ [العلق: ١٩]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٩٨]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩]

جاء السجود في مواضع كثيرة في القرآن الكريم...

جاء رمزًا للتسليم والطاعة والخضوع.

وجاء لطلب العون والخلاص.

وجاء للشكر.

وجاء لتفريج الهم واستجابة الدعاء.

وهكذا...

إن السجود دليل على الخضوع التام لله تعالى، والإقرار بربوبيته وألوهيته، فهو تسليم كامل له، ولم يكن سجود الملائكة لآدم إلا نزولًا وخضوعًا لأمر الله تعالى، أي هو في الحقيقة سجود لأمر الله تعالى، وعدم سجود إبليس

لآدم إنما هو عدم سجوده لأمر الله تعالى.

السجود ليس فعلًا مجردًا، إنما هو فعل قلبي قبل أن يكون بدنيًا.. إذا سجد القلب، سهل على الجوارح السجود، ولوجدت الجباه الراحة التامة لملامستها الأرض، لأن في هذه اللحظة تُعانق الأرواح السماء، وتجد خلاصها من ذل وأغلال الدنيا.

الحواس أيضًا لها سجود خاص بها...

غض البصر: هو سجود الأجفان لأمر الله تعالى، فلا تنظر العين إلى ما حرم الله تعالى.

عدم الاستماع إلى ما حرَّم الله تعالى: هو سجود للأذن.

كف الأيدي عن الأذى هو سجود الأيدي.

كف اللسان عن قول الباطل هو سجود اللسان..

وهكذا..

نزولك بقلبك وحواسك وجوارحك لأمر الله تعالى إنما هو سجود وإن لم تلامس جبهتك الأرض!

أرأيت... لم يسجد إبليس «لأمر الله»؛ لأن نفسه التي امتلأت بالكبر منعته من السجود، والكبر أحد أمراض النفس الخبيثة؛ لذلك كان السجود وسيلة تستعين بها وغاية تصل إليها في نفس الوقت، فهو وسيلة لعلاج خبائث النفس وسحق الكبر، وهو غاية للتقرب من الخالق -جل وعلا- واعلم أنه ليس كل ساجد بمتقرب،

ولكن بالتأكيد كل متقرب ساجد!

لكل منا شجرته!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥]

الأصل هو الإباحة، فالمباحات هي الأغلب، والتحريم نزل على أشياء محدودة.

مثل الشجرة، فقد أباح الله تعالى لآدم -عليه السلام- وزوجه أن يأكلا ويتنعما في الجنة كما شاءا، بشرط ألا يقربا شجرة بعينها.

فقط... شجرة!

لكن الشيطان زينها لهما، فلم يستطيعا أن يقاوما إغواءه، ونسيا النهي، وأكلا منها..

هذا حال الشيطان معنا جميعًا...

يزين لنا الممنوع فيصير مرغوبًا لنعصي، ويضخم لنا المفقود فينسينا الموجود لنحزن، ويضحك عندما يرانا قد تعامينا عن النعم، ويطول بنا الأمل، ويصبح القلب فارغًا!

فلننتبه، ولنتذكر بأن لكل منا «تلك الشجرة» التي يجب ألا تعمينا عن باقي الجنة؛ حتى لا يزلنا الشيطان وينسينا شكر النعم فنفقدها!

اللهم اجعلنا من القليل

تظل الأشياء جميلة في نظرنا طالما ليست في حوزتنا أو في قبضة أيدينا، وتتشغل النفس بالتفكير فيها، والدعاء المستمر للحصول عليها حتى نحصل عليها.

ومن ثم، تبدأ الأشياء تفقد بريقها شيئًا فشيئًا في نظرنا، فالنفس تألف الموجود، وربما يبلغ بها الأمر أنها تنسي وجوده من الأساس أو تزهده!

والإلف سلاح ذو حدين، فهو ما يجعل القلب يطمئن والنفس تهدأ وتسكن، ولكن كثيرًا ما يُنْسِي عبادة الشكر.

يُنْسِي الاضطراب الذي كانت تعالجه النفس؛ لذلك كان قليل من الناس من يشكر النعمة رغم إلفها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣]

لذلك جعل الله تعالى الشكر سببًا في زيادة النعم والبركة وهدوء النفس، ولكن من يتفطن لهذا؟!

ومن أضداد الشكر بطر النعمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القصص: ٥٨]

فالنفس -للأسف- دائمة البحث عن المفقود ولا تلتفت إلى الموجود، وهذا أحد أهم أسباب شقاء الإنسان.

يقول الخبير «جيمس راي»: إنَّ قوة الشكر كبيرة جدًّا، فأنا أبدأ يومي كلّما استيقظت صباحًا بعبارة «الحمد لله»، لأني وجدتها مفيدة جدًّا وتمنحني طاقة عظيمة! ليس هذا فحسب، بل إنّني أشكر الله على كل صغيرة وكبيرة، وهذا سرُّ نجاحي أنني أقول «الحمد لله» وأكرِّرها مرارًا طيلة اليوم!

فاللهم اجعلنا من القليل الشكور.

٢٢

المينيماليزم
Minimalism

هـو مفهـوم شـائع الآن، ومعنـاه التبسـيط أو التقليـل، وهـو يشـجع الناس على التخلص من الأشياء التي لا قيمة لها، أو حتى ذات القيمة ولكن يمكن الاستغناء عنها،

وأيضًا انتهاج البساطة في جميع الأمور المادية

وهـذا بـدوره سـيجعل الحيـاة أكثـر خفـة، أكثر ترتيبًـا، أكثر راحة، أكثر توفيرًا، أكثر اتساعًا، أكثر تركيزًا، وهكذا.

ولكن هذا بالنسبة للماديات..

أنـا أرى أن اسـتخدام هـذا المفهـوم مـن الناحيـة النفسـية مهم جدًّا..

فالإنسـان «طاقـة» و«سـعة نفسـية»، إن لـم يسـتخدمهما بحـرص فيمـا هـو مهـم؛ نفـد رصيـده منهمـا وأصبـح لا طاقـة لـه للإنجـاز، وسـيصاب بالإحبـاط والاختنـاق النفسـي؛ لذلـك عليـه أن يتبنـى مفهـوم الـ minimalism النفسـي -إن جـاز التعبير- وهو يتعامل معهما.

لذلك عليه أن:

- يتعود على انتقاء ما ومن يضعهم في دائرة اهتماماته.

- يحاول تدريب نفسه على التركيز على الأمور الهامة فقط، ويصرف عنه أي شيء «تافه أو سلبي» يمكن أن يشتته ويستهلك وقته وطاقته، فكما يقولون «أينما يكُنْ تركيزك تَسُرِ طاقتك».

- ترتيب الأولويات، وهذا بدوره سيسهِّل على الإنسان التركيز والانتقاء في المستقبل.

- الانتباه الدائم للوقت، فهو عملة الإنسان الصعبة التي ينفد رصيده منها بشكل مستمر.

- الانتباه لطريقته وأسلوبه في مواجهة الحياة، ومنها طريقة تعبيره عن مشاعره، مثل حماسته وانفعالاته، فلا يجب أن يستهلك طاقته في الحماسة الزائدة التي قلما يترجمها الآخرون بشكل صحيح، وألا يستهلكها في الانفعالات المختلفة أو المحاولات الدائمة في شرح مواقفه للآخرين... الاتزان العاطفي مهم جدًا.

لقد نبهنا الله تعالى لأهمية الانتباه للطاقة والسعة، وأمرنا بالتوازن في حياتنا بشكل عام ومشاعرنا بشكل خاص، وألا نسرف في الفرح أو الحزن.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٣]

- محاسبة النفس بشكل جاد، ومراقبة مدى تحسن جودة الحياة التي يعيشها مع الوقت كلما أتقن فن الميناماليزم النفسي في حياته، ويجب الانتباه للفرق بين التوازن والبخل أو الشح، فالمقصود مما سبق هنا التبسيط

الذي يؤدي إلى «التوازن النفسي» وليس التبسيط الذي يؤدي إلى «الشح النفسي» الذي يفضي إلى «الأنانية» واعتزال الناس والحياة؛ حتى لا نكون ممن وصفتهم الآية الكريمة ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤ ﴾ [الحديد: ٢٤]

- إن الله تعالى خلق الإنسان ويعلم أن لكل إنسان «طاقة» و«سعة» خاصة به، لذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وأمرنا بالدعاء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

فلا تستهلك «محركاتك» فيما لا جدوى منه؛ حتى تستطيع أن تنجز ما يهمك فعلًا في هذه الحياة.

المحاسبة المنهجية!

البعض لا يحقق النتائج المرجوة بعد محاسبته أو مراجعته لنفسه؛ لغياب المنهج السليم في عملية المحاسبة.

المحاسبة المنهجية هي تحديد المنهج أو القواعد التي ستحاسب نفسك وفقها أولًا.

فمن غاب عنه المنهج السليم؛ اتبع هواه في المحاسبة وكان أمره فرطًا.

فمثلًا... إن كان منهجك كتاب الله تعالى وسنة رسوله، سوف تضع أفعالك في ميزانهما، وتبدأ بمقارنة واضحة على ضوء ما جاءا به وما تفعله أنت على أرض الواقع.

فلا مجال أبدًا للتبرير، لأن المبررات أحد أسلحة النفس الذكية، التي تتحايل بها على صاحبها كي لا يقلع عن فعل معين، أو يكف الضمير عن جلدها بسياطه.

وهذا ينطبق على من يتبع هواه في المحاسبة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]

ولا مجال أيضًا للندم على فعل جيد، لأنك تقف على أرض صلبة واضحة، وتعرف تمامًا أن الخير حتى وإن بذلته في غير أهله فأنت على الطريق الصحيح وستعيش في حالة اتساق نفسي وعقلي، وهذا في حد ذاته يجعلك في حالة من رضا الضمير وراحة البال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]

المنهج الصحيح في المحاسبة الذاتية سيختصر عليك الوقت وسينير لك الطريق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

هنا الله تعالى يحثنا على اتباع منهجه في حياتنا حتى لا تشتتنا سبل الحياة عنه فنضل ونشقى.

لذلك..

اختر منهجك بعناية، وحاسب نفسك على أساسه كي تحقق النتائج المرجوة.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠]

كلمة «فتنة» في اللغة معناها الاختبار بالنار... وكان العرب قديمًا يختبرون الشيء بالنار ليظهر المعدن النفيس من الخبيث.

ثم شملت الكلمة بعد ذلك جميع أنواع الاختبارات الحياتية التي يتعرض لها الإنسان.

وفى الآية الكريمة، يخبرنا الله تعالى أنه جعل الناس فتنة لبعض، أي يختبر الناس بعضهم ببعض

فالغني فتنة الفقير، والصحيح فتنة المريض، ليس هذا فحسب، فحتى الفتنة يمكن أن تدخل بين الوالدين وأبنائهم؛ فيميزوا أحد الأبناء عن الآخر؛ فتدخل الغيرة والكراهية قلوب الأبناء، وهنا الفتنة ليست فقط للوالدين وانحيازهم، بل للأبناء.. هل سيبرونهم على ظلمهم أم لا؟

والفتنة أيضًا تدخل مع من يدخلون حياتنا، فهناك من يدخل ومعه الخير لنا والتوجيه، وتكون فتنتنا هي: هل نستمع إليه أم نتكبر عليه؟

وهناك من يدخل ليبعدنا عن الله تعالى بمعسول الكلام والفتاوى المختلقة المضللة التي تتبع الهوى، وأيضًا تكون فتنتنا هي: هل سنتبعه أم نثبت؟

هناك من يتأثر بالاضطهاد المجتمعي، فيرضخ ويساير المجتمع كي يشعر أنه جزء منه وإن كان المجتمع منحرفًا.

وهكذا..

وإن أمعنا النظر في كل من يدخل حياتنا، عابرًا كان أم مصاحبًا لنا؛ فسنجد أنه يحمل معه فتنة لنا، كما أننا نحمل له فتنة معنا.

آية عظيمة، تفسر الكثير والكثير لما نتعرض له من خلال تعاملاتنا اليومية مع الآخرين.

الحياة اختبارات صعبة، أي فتن، ليميز الله بها الخبيث من الطيب.

والسؤال: ﴿أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠]

اترك ما لا يعنيك لتنعم بما يعنيك

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضِيَ اللهُ عنهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[1].

أحب هذا الحديث كثيرًا، فبالرغم من كلماته المعدودة، إلا أن له فوائد لا محدودة!

أتدري إن تركت ما لا يعنيك ماذا سيحدث لك؟

أولًا: سيحسن إسلامك، لأنك لن تدخل في أمور ربما أتت عليك بالذنوب والويلات..

بالغيبة والنميمة والبهتان..

بالتسبب في قطع صلات.

ثانيًا: ستوفر على نفسك وقتك، وقتك الذي هو عمرك، ستجد المساحة الزمنية التي تحتاجها لنفسك لتتعلم شيئًا جديدًا..

لترتاح..

لتلملم أمورك.

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المصدر: شرح كتاب الشهاب، التخريج: أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)

ثالثًا: ستنشغل بأمورك عن أمور الناس التي لا تخصك.

ستكتشف نفسك وتتعرف عليها أكثر؛ لأنك ستكون: أكثر هدوءًا..

أكثر بصيرةً..

أكثر حكمةً..

مكتبة
t.me/soramnqraa

ستنشغل بما هو أهم.

رابعًا: ستحافظ على سلامة قلبك، لأنك ستجنبه ملوثات بشرية لا أهمية لها.

خامسًا: ستحمي نفسك من سلاطة لسان بعض البشر، وستجنب نفسك سماع عبارة (ما دخلك أنت؟!).

تركك ما لا يعنيك سيجعلك أكثر اهتمامًا بما يعنيك، ستتقدم في حياتك أكثر وتكون أكثر فاعلية وتركيزًا.

إنه أسلوب حياة راقٍ من الدرجة الأولى، يجعلك تحيا حياة راقية نقية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥]

اتبع هذا التوجيه النبوي العبقري وستلاحظ التغيير الجذري في حياتك وقلبك ونفسك لا محالة!

أمسك زمام نفسك!

معظم الجرائم التي تحدث، والظلم الذي يقع من البعض، والخلافات التي تؤدي إلى قطع العلاقات أو ربما القتل، مرجعها الأساسي هو عدم تهذيب النفس وتربيتها، إفلات الحبل على الغارب لها، وإعطاؤها «الميكروفون» لتكون صاحبة الصوت الأعلى في الأمر والنهي.

وما أدراك ما النفس، ثم ما أدراك ما النفس!

إذا شعرت بسلطتها وسطوتها على صاحبها

ستستعبده بالشهوات والأهواء،

ستسيطر عليه بمزاجها المتقلب،

ستعميه بالكبر،

ستجعله لا يرى إلا من خلالها ولا يسمع إلا صوتها

لأنها ستكون في مركز اهتمامه، لا ليهذبها ويوجهها، بل لتوجهه هي وتستعبده.

تربيتك لنفسك أيها الإنسان وتهذيبها ولجمها بلجام الدين والأدب هو ما سيعيدها إلى حظيرتك، تحت سيطرتك.

النفس كالحصان البري الجموح، إن لم تشد على حبلها في يدك، ستتفلت منك وستجرك خلفها إلى مصير مجهول.

ولقد علمنا رسولنا الكريم ﷺ الاستعاذة من شر النفس في هذا الحديث: عن أبي هريرة أَنَّ أَبا بَكرٍ الصِّدِّيقَ، قَالَ:» يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وإِذَا أَمْسَيتُ، قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَواتِ والأرضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادةِ، ربَّ كُلِّ شَيءٍ وَمَلِيكَهُ. أَشْهَدُ أَن لاَ إِله إِلاَّ أَنتَ، أَعُوذُ بكَ منْ شَرِّ نَفسي وشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِه» قَالَ: «قُلْها إِذا أَصْبحْتَ، وَإِذا أَمْسَيْتَ، وإِذا أَخذْتَ مَضْجعَكَ»(١).

إذا تأملنا الحديث سنجد أن الرسول الكريم ﷺ استعاذ من شر النفس وشر الشيطان، لأن شرورهما ستضر النفس في المقام الأول قبل أن تضر الغير.

إذا وضعنا هذه الحقيقة نصب أعيننا، وعرفنا أن النفس الأمارة بالسوء إنما هي نفس تحتاج إلى إرشاد وإلى تهذيب وإلى ردع وإلى قيادة، لأن أول من تصيبه بشرها هي ذات نفسها؛ لذلك فهي لا تصلح للقيادة!

تربية النفس ليست رفاهية وهي مسؤولية صاحبها فقط.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾[الشمس: ٩] لأنه سيأمن شرها..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس: ١٠] لأنه سيقع ولا بد في أوحالها.

---

(١) الراوي : أبو هريرة المحدث : الألباني المصدر : صحيح أبي داود

الإنصاف العزيز!

أنا مظلوم ومقهور..

لقد تم استغلالي..

لقد ذهب حقي..

كلها جمل تعبر عن إنسان تم انتهاك حقه.. أليس كذلك؟

ولكن... هل تعلم أنه ليس شرطًا أن يكون قائلها على حق!!

يجب أن نفرق بين ما يشعر به الإنسان وما هو واقع حقًّا، فليس كل من يقول إنه مظلوم هو مظلوم حقًّا، وليس كل من يشعر أنه تم استغلاله قد تم استغلاله بالفعل.

فالبعض لديهم شعور عالٍ بـ«الاستحقاق»، ربما لنرجسيتهم، أو لأنانيتهم، أو لتربية خاطئة ولثقافة مجتمع مشوهة.

فتجد منهم من يريد «تسخير» الآخرين لراحته، ولا ينتبه لراحة الآخرين..

دائمًا ينتقي لنفسه الأفضل وليذهب الآخرون للجحيم!

لا يرى إلا نفسه وراحته ومصلحته في الصورة،

والشيء الغريب أنه يصور لنفسه «رغباته» على أنها «حقوق» ويجب أخذها.

والشيء المضحك أنه ينتقد الآخرين عندما يجدهم يحاربونه لأجل «حقوقهم» ويعتبرهم «أنانيين»، وربما نعتهم بالنرجسية إذا تعارضت «حقوقهم» مع «رغباته»!

حتى لا تقع في فخ هؤلاء، وحتى لا تتحول مثلهم في يوم من الأيام، يجب أن تتحقق بما تشعر به دائمًا،

هل هو حقك فعلًا أم مجرد رغبة؟

يجب أن تلتفت لحقوق الناس وتتبين من استحقاقهم، وألا يكون همك فقط «راحتك» وتلبية «رغباتك».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾ [هود: ٨٥]

وهذا ليس فقط في الحقوق المادية، ولكن في الحقوق المعنوية أيضًا، وهذا لن تستطيع تحقيقه إلا إذا تعاملت بالعدل والإنصاف مع نفسك والناس.

التحيز الدائم للذات شيء مدمر إذا بنيته على مجرد « شعور» وليس «حقوق» واضحة، وهو ما يتسبب في انهيار العلاقات، وشعور الإنسان الدائم بعدم الرضا، والظلم.

الإنصاف عزيز، لأن فيه مجاهدة وردعًا لأهواء النفس؛ لذلك لا يعرفه إلا الذين يتقون الله حقًّا.

من درب نفسه على الإنصاف مع نفسه ومع الناس؛ أرضى الله تعالى وأراح ضميره وعاش خفيفًا، وتحرر من أغلال نفسه!

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [النساء: ٦٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء: ٦٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾ [النساء: ٨١]

اعتزالك وإعراضك عمن يؤذيك ويكيد لك أمر مفروض عليك، خصوصًا لمن يظهر لك السواد الذي في قلبه من وقت لآخر، ثم يتلون ويتحجج بحجج واهية لتبرير أسلوبه، حتى أنك تجد نفسك لا تستطيع التماس الأعذار له..

لقد نفد رصيده لديك.

أن تعفو وتصفح ليس معناه عدم الإعراض، بل معناه تحرير قلبك من الأحقاد.

ولكن عليك أن تخرج من مستنقع الشخص الذي يتلذذ برؤيتك مكسورًا مهزومًا.

أو حتى الشخص الذي أعلنها بمواقفه بوضوح، حتى لا يكون منافقًا، إنه لا يستسيغ وجودك، ويكره لك الخير، فأعرض عن سواده هو الآخر.

عامل الناس بما يرضي اللّٰه، وإعراضك عمن يؤذيك خير من أن ترد أذيته بأذية مثلها أو تدخل معه في صراع بارد يستنزف نفسك ووقتك.

وأخيرًا... صاحب من تسعدك صحبته، وعامل باقي الناس بالحسنى.

والإعراض أحيانًا يعتبر الحسنى التي ستعامل بها البعض!

المسؤولية

كلمة «المسؤولية» مشتقة من الفعل «سأل».

والشخص المسؤول هو الشخص الذي يتحمل تبعات فعل معين تقع عليه تبعته.

كلنا نتحمل المسؤولية في مواطن مختلفة، ويزيد نطاق المسؤوليات مع التوسع في دائرة حياتك التي تكون أنت المؤثر فيها، أي مع زيادة دائرة تأثيرك بما فيها من عبادة، وعمل، ودراسة، وأشخاص...

في وسط دائرة تأثيرك -أو بمعنى أصح في مركز دائرة تأثيرك- تقع «ذاتك» أو «نفسك»، لأنها هي أول ما يجب أن تؤثر عليها وتوجهها وتهذبها.

وأهم شيء يجب أن تدربها عليه هو أن تكون مسؤولة، وهذا ما يسمى بـ«تنمية المسؤولية الذاتية»، تغرس بها معنى المسؤولية، وتشعرها بخطورة التخلي عن المسؤوليات التي توكل إليها.

يجب أيضًا أن تعلم أن مفهوم المسؤولية عندك سوف يتأثر بما تضعه أنت في مركزية اهتمامك وتفكيرك، وما تضعه في مركزية اهتمامك سوف يؤثر على مسؤولياتك

الأخرى بالسلب أو الإيجاب.

وأيضًا يجب العلم أن تنظيمك للأولويات سوف يتأثر بهذه المركزيات.

فمثلًا، إذا وضعت الدنيا في مركزية اهتمامك؛ ستجد أولوياتك منصبة ناحية الدنيا دون الآخرة، وإذا وضعت الآخرة في مركزية اهتمامك؛ ستجد أولوياتك تخدم آخرتك.

لقد أخبرنا الله تعالى بأهمية الالتفات إلى المسؤولية، والمسؤولية جاءت في القرآن بمعنى الأمانة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]

وكان نتيجة حمل الإنسان للمسؤولية أنه سيُسأل عنها يوم القيامة، سيُسأل عن كل أمانة وكلت إليه وأولها أمانة نفسه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣]

وأيضًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المدثر: ٣٨]

وقال رسولنا الكريم ﷺ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ،

وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».[1]

من عرف معنى المسؤولية وكان واعيًا بخطورتها، لن يحمل نفسه مسؤوليات عبثية لا معنى لها، وسيكون أكثر حرصًا قبل أن يوافق على أمر ما، أو قبل أن يبرم اتفاقًا، أو يعهد عهدًا، أو يؤتمن على أمانة، سيكون أكثر حرصًا على فهم المطلوب منه، والممنوع عنه، لن يقدم على عمل دون أن يعرف تبعاته.

الشخص المسؤول لن تجده يُسْقِط عدم قيامه بمسؤوليته على أحد، لن يبرر تقصيره، وبالطبع لن يتخلى عن مسؤوليته بإرادة حرة.

ومن تراه يتخلى، فهو يتخلى عن أشياء فقدت معناها وأهميتها داخله وزهدها؛ فتخلت نفسه عن الشعور بمسؤوليتها ناحية هذه الأشياء؛ فوضعتها في مؤخرة الأولويات، وربما سقطت منها «سهوًا».

أو ربما مسؤوليات فُرضت عليه فرضًا بغير إرادة منه أو رضا، فلا مركزية حقيقية لها عنده ولا أهمية؛ لذلك تجده يتخلى عنها في أقرب فرصة تسنح له، ليس بالضرورة عن عجز، ولكن عن رغبة في التخلص منها.

المسؤولية الحقيقية تولد مع غرس المعنى والقيمة والأهمية في النفس.

---

(١) الراوي : عبدالله بن عمر، المصدر: تخريج المسند لشاكر،التخريج: أخرجه البخاري (٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩)، وأبو داود (٢٩٢٨)، والترمذي (١٧٠٥)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٩١٧٣)، وأحمد (٥١٦٧) واللفظ له

وفي النهاية المسؤول هو من سيتحمل تبعات المسؤولية التي على عاتقه، فانتبه لمركزياتك، وانتبه للمعنى الحقيقي في حياتك؛ حتى تتضح مسؤولياتك الحقيقية لك.

كن سيدًا لنفسك!

تكتسب الأشياء والأشخاص والعادات أهميتها لدينا عند شعورنا بحاجتنا إليها، ليس هذا فقط، بل أيضًا ربما انتابنا شعور بالعجز إن ابتعدنا عن هذه الأشياء أو الأشخاص أو العادات، فهذا يعتبر تعلقًا، والتعلق نوع من أنواع استعباد النفس.

شعور الحاجة يجعل الإنسان ذليلًا، متنازلًا.

علاج هذا الأمر يكمن فقط في أمر واحد، ألا وهو إخلاص عبوديتنا لله تعالى وحده لا شريك له، فهو الوحيد الذي كلما شعرت بحاجتك اليه، ازددت قربًا منه.

كلما تذللت وتضرعت إليه كلما ارتفعت مكانتك عنده ولن يخذلك..

إخلاص العبودية لله، هو تمام إمساكك لزمام نفسك، أي تمام حريتك.

أما الدنيا فعلى النقيض، كلما دنوت منها ابتعدت عنك، وكلما تذللت فيها أذلتك أكثر وأمسكت هي زمام نفسك، ولن تكون حرًا، ولم ولن تأخذ منها الا ما كتبه الله تعالى لك.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا، فَقَالَ:

«يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».[1]

كن سيدًا لنفسك بإخلاص عبوديتك لله تعالى.

---

(١) الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث : أحمد شاكر، المصدر : تخريج المسند لشاكر

بوابات الخير

بعض الخصال تعتبر بوابات لخير كثير لك في حياتك وبناء شخصيتك وتهذيب نفسك، وزادًا لك في رحلتك في الحياة، وعونًا لك في طلب رضا الله تعالى والجنة.

من هذه البوابات «بوابة العزيمة».

العزيمة هي الإصرار على شيء ما.

والعزيمة تعتمد على وجود خصلة غاية في الأهمية ألا وهى الحزم.

والحزم المقصود به هنا هو الثبات والقوة في معاندة المقاومة التي سيتعرض لها الإنسان حينما يعقد قلبه النية ويعزم على فعل شيء ما فيه منفعة.

مثال: عندما تبدأ في ممارسة رياضة أو البدء في حمية غذائية، ستجد مقاومة من نفسك على المتغيرات، فالنفس لا تحب التعب!

عندما تبدأ في دراسة ما أو في حفظ القرآن مثلًا؛ ستجد مقاومة من النفس على هيئة ملل أو يأس وتراخٍ.

وهنا عليك استخدام الحزم مع نفسك؛ حتى تعضد من عزيمتك وتقاوم نفسك وتستمر فيما تفعله لصالحك.

عزيمتك يمكن أن تخور إن لم يصاحبها حزم.

فلا نفع في إرادة بدون عزم

ولا خير في عزم بغير حزم.

قال ابن القيم: «فإن كمال العبد بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومن كانت له عزيمة، ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص، فإذا انضمَّ الثبات إلى العزيمة أثمر كلَّ مقام شريف وحال كامل، ولهذا في دعاء النبي -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد»[1]. ومعلوم أن شجرة الثبات والعزيمة لا تقوم إلا على «ساق الصبر»

من ثمرات العزيمة القدرة على السيطرة على النفس، وعلى أهوائها، وكسر شوكة الكبر فيها واستبدالها بالقوة النفسية، والأمور التي يستصعبها الكثير سوف يهون أمرها نوعًا ما، مثل العفو عن المسيء، والصبر على الابتلاء، والصبر على العبادات التي يستثقلها البعض مثل الصيام وقيام الليل. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩]

فلا يجب أن يحول بينك وبين ما فيه منفعتك شيء، اعقد النية وتوكل على الله تعالى واطلب توفيقه، ولا تعجز، فمن تفكر في الثمرة هانت عليه المشقة!

---

(١) طريق الهجرتين [١/٤٠١].

تزيين الشيطان!

قرأت مؤخرًا في بعض المنشورات عبارات مثل:

«ستعرف أنك مع الشخص الصحيح حينما تجد نفسك تزداد جمالًا»!

«افعل ما يجعلك سعيدًا ومرتاحًا، واعتزل ما يؤذيك».

وهكذا.....

لا أنكر أبدًا أن سعادة الإنسان وراحته وأمانه من الحاجات الأساسية في حياته كي يستطيع مواصلة الحياة.

ولكن السؤال:

هل كل ما يجعلك سعيدًا تفعله؟

هل كل من تشعر معه أنك «جميل» تصاحبه؟

هناك أمر هام جدًا لا يمكن أن نغفل عنه أو نتجاهله، حتى لو تعارض مع سعادتنا المؤقتة أو جمالنا المزعوم، ألا وهو «تزيين الشيطان».

يزين لك القبيح فتراه حسنًا، يجعلك تصاحب من يصدك عن الطريق، وتشعر بطلاقة نفسك وحريتها المزعومة معه، وبالطبع ستشعر أنك تزداد جمالًا، مع ان العكس هو الصحيح!

ينفِّرك من الصالحين بدعوة أنهم يبالغون في التزمت والالتزام، وبمجرد ولوج هذه الفكرة إلى قلبك، لن تشعر بالراحة معهم ولن تأنس بحديثهم معك، وسيتمعر وجهك وستشعر أنك لست جميلًا!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٨]

لذلك، قبل أن تغتر ببعض العبارات الرنانة والدعاوى التي تسمعها بأن تخلص نفسك من كل ما يؤذيها وتصاحب كل ما يرويها، عليك أن تدقق فيما قررت التخلص منه، وتدقق فيما قررت اتباعه ومصاحبته،

واجعل منهج الله تعالى لك هو الأساس؛ لتستطيع «فلترة» الصالح من الطالح لنفسك.

حتى لا تقع ضحية لـ«تزيين الشيطان».

الحد الأدنى!

يجب أن يكون لك حد أدنى في أي عمل نافع تفعله..

حد أدنى في أي عبادة..

حد أدنى، مهما حدث ومهما شعرت بالإرهاق والملل لا تتنازل عنه.

هذا الحد الأدنى هو «الضمان» لك ألا تتخلف كثيرًا عن الركب.

ألا تتوقف.

ألا تتكس.

هو «العكاز» الذي سيسندك ليحميك قبل السقوط المحقق.

هذا الحد الأدنى سيكون «خير أعمالك» إن أنت لم تتوقف عنه.

هو الذي سيبقي على «بوصلة حياتك « في اتجاهها السليم؛ فيحمي روحك من غياهب التشتت، ويلملم عليك شعثك إن أنت حِدتَ عن الطريق.

هو «بصيص النور» الذي ستهتدي به إن زلت قدمك في معصية.

هذا «الحد الأدنى» هو الخط الأحمر، الذي إن تخطيته دق ناقوس الخطر المحقق، فلا تتنازل عنه مهما حدث، حتى وإن حاربت نفسك لأجله!

سمات النفس القوية

من سمات النفس القوية:

١- الشجاعة:

والشجاعة عكس الجبن، وقد استعاذ الرسول الكريم- صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الجبن بقوله:

«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل».

وقال ﷺ: «شر ما في رجل شح يهلع وجبن يخلع».

والجبن الخالع هنا معناه الجبن الذي يخلع قلبه من الخوف.

الجبن والخوف طريق الشيطان إلى قلبك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

وهو طريق استعباد الدنيا والناس لك، وهو أحد الأسباب البارزة القوية لضعف النفس وترددها وتخلفها.

الجبن مذلة، والذليل لا يستطيع الثبات أو الانتصار على نفسه..

لا يستطيع المواجهة والتقدم..

لا يستطيع الاستغناء..

وهو أحد الأسباب القوية التي تدفع الإنسان لأحط الصفات ألا وهي الكذب.

إذا شعرت بالخوف أو الجبن قد تسلل إلى قلبك، قبل أن تستسلم لهذا الشعور وتتفاعل معه، واجه نفسك بتبعاته المخزية التي سوف تقودك إليه، فإن كرهت نفسك المذلة حتمًا ستأنف الجبن.

٢- الاستمرارية:

أن تستطيع الاستمرار على شيء نافع، وتزاحم به مشاغل حياتك، فقط لأنك تريد ذلك!

كثير من الناس تعرف جيدًا ما ينفعها، وما تلبث أن تبدأ فيه ثم تراها تفتر ثم تتركه، هذا لأنها تركت نفسها لمشاغل الحياة والظروف، والناس تتحكم في وقتها،

لكن صاحب النفس القوية هو الذي يزاحم أوقاته بما يراه نافعًا له، فالوقت خادم له وليس العكس، ينظم وقته لمصلحة دينه ودنياه.

المؤمن صاحب النفس القوية، يستمر على العمل الصالح وإن قل مقداره، لكنه لا ينقطع عنه مهما حدث، لا يحب التبرير أو التأخير؛ لذلك نجده منجزًا محققًا لأهدافه.

وأهم ثمار هذه السمة هي الثبات.

الثبات أمام الفتن.

الثبات للدفاع عن الحق.

فالاستمرارية تعلم الإخلاص للفكرة، والإخلاص للفكرة يولد القدرة على الثبات.

٣- قوة الرأي:

من السمات التي تُعرف بها النفس القوية هي قوة الرأي، أي أن يكون لك رأي واضح تُعرف به.

قوة الرأي تستند على ركنين أساسيين هما:

العلم والتجربة.

وإلا كان الرأي ناقصًا ضعيفًا مترددًا.

ولكن لن تنفع قوة الرأي إن لم يكن الإنسان لديه قوة وعزيمة لإبداء رأيه والتصميم عليه والإيمان به.

فكما قال عيسى ابن علي :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة

فإن فساد الرأي أن تترددا.

لذلك... حتى تكون ذا نفس قوية ورأي قوي، عليك بالعلم والتجربة، وعندما يتبلور لك رأي واضح حقًّا في أمر ما تكون قد توصلت إليه بعد جهد وبحث وعلم وبينة، فاحذر أن تخونك عزيمتك أمام فوضى الآراء، أو تخبط الأهواء؛ فتتردد وتضعف نفسك.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا﴾ [آل عمران: ١٣٩]

عندما سئلت يومًا عن الحزن: كيف يمكن للإنسان إدارته؟

وجدت صدى هذه الآية الكريمة يصدح في قلبي. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]

في هذه الآية الكريمة نهى الله تعالى عن الهوان، وهو ضعف الذات والإرادة ، كما نهى عن الحزن، ولم ينهنا الله تعالى عن شيء إلا إذا كان بإمكاننا إدارته والتعامل معه، ثم أردف بالجملة الشرطية ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ آل عمران: ١٣٩ وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي أن الإيمان لا يجتمع مع الشعور بالهوان والحزن؛ فوقر في قلبي شيء، وهو أن الإنسان يتغلب على أحزانه بمقدار الإيمان في قلبه أي أن الإيمان هو السلاح الذي يمكننا به مواجهة الهوان والحزن.

عندما يزيد الإيمان في القلب يقل الشعور بالهوان والحزن، ويعلو الشعور بالقوة والبشر والعزة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨]

فالهوان والحزن رفيقان، عندما يتسلل أحدهما إلى قلبك يصاحبه الآخر، ويمارسان عليك هيمنتهما وتعكير صفو حياتك وشعورك بالعجز، والسبيل لمواجهتهما هو زيادة منسوب الإيمان في قلبك، فالإيمان الصحيح حارس لقلبك، لن يسمح بولوج الهوان أو الحزن إليه، هذا فقط إن استطعت أن تملأ كيانك به !

لا.. إنها ثقيلة على النفس!!

الكثير من العبادات والطاعات لها ثقل على نفس فاعلها، ثقل على جسده وشهواته ورغباته..

هذا الثقل هو ما يحول بين الإنسان وبين فعل الطاعات...

وهناك أثقال معنوية، كالعفو، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والإحسان إلى المسيء، وطلب الصفح من شخص لا تطيقه نفسك ولكنك أخطأت في حقه.. وغيرها من أثقال النفس، وهذه الأثقال المعنوية تدفع الإنسان دفعًا لتبرير موقفه، وإلصاق التهم بغيره. الغيبة والبهتان والافتراء وغيرها من الأفعال التي تحول بين الإنسان وبين هذه الأثقال المعنوية،

فكما قلنا من قبل، النفس تميل إلى الراحة والدعة.

إلى الاستزادة..

إلى الكبر..

إلى الاستسهال..

ولكن..

هل تعلم أن تلك الاثقال التي تجنبها نفسك أيها الإنسان هى ما تثقِّل موازينك يوم القيامة؟

نعم، هي ثقيلة على النفس، ولكنها ثقيلة في الميزان أيضًا..

وكلما زاد ثقلها على نفسك، كان ثقلها في ميزان حسناتك. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ ﴾ [القارعة: ٦ - ٧]

ولكن من كره حمل الأثقال فى الدنيا بحجة أنه يحب نفسه ويكرمها، ذهب خفيف الميزان في الآخرة كما كان يخفف عن نفسه فى الدنيا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ ﴾ [القارعة: ٨ - ٩]

من أحب نفسه حقًّا «أثقل عليها» ببعض الطاعات الثقيلة!!

اضبط مدخلاتك لتتحسن مخرجاتك!!

مدخلات الإنسان هي الحواس، فهي مصدر التلقي من سمع وبصر ولمس وشم وتذوق، فعقلك لن ينتبه إلا لما تدخله حواسك إليه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨]

فالسمع والبصر هما أهم وسائل الإدراك، ثم يأتي الفؤاد (القلب) ليستقبل ما أدركه السمع والبصر ويكون مستودعًا لهذا الإدراك ويعقله ويطمئن إليه أو ينفر عنه -حسب ما تعوده- ثم يضبط المخرجات (الأفكار والتصرفات والانفعالات) على أساس المدخلات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦]

هناك من يقول: أنا لا أتحكم في قلبي، فأقول له: ولكنك تتحكم في المدخلات التي تلج إليه.

فالقلب «قابل» لما يجده، فإذا غمرته بالشهوات والتوافه؛ ضعف وقسا وأعرض عن الحق والهدى، فأنت من تربيه وتغذيه بالمدخلات، وتعرضه أحيانًا بإرادتك للفتن، فأنت تتحكم فيما تسمع..

تتحكم في اختيارك لمن تصاحبه..

في البيئة التي تتواجد بها وتأنس معها..

تتحكم فيما تشاهده وتقرأه وتفكر فيه.

أنت تتحكم فيما يدخل قلبك والكيفية التي يدخله بها؛ لذلك أنت مسؤول عما يعتمل به..

مسؤول عن مخرجات قلبك التي تنعكس على تصرفاتك.

أنت مسؤول عن مصادر العلم التي تتطلع عليها.

أنت المسؤول عن إبصار قلبك أو إلقاء الحجب عليه.

تطهير قلبك يبدأ من تطهير مدخلاتك.

إن لم تكن راضيًا عن مخرجاتك، فتذكر أن بإمكانك إعادة ضبط مدخلاتك!

من في يده اللجام؟

عندما تسيطر عليك بعض المشاعر أو الأفكار التي من شأنها أن تسئم روحك وراحتك وتعارض قناعاتك،

عليك أن تتحقق: من في يده اللجام؟

إن شعرت أن تفاعلك مع هذه الأفكار أو المشاعر قهري وأنك لا تستطيع المقاومة، فاعلم أن اللجام بالتأكيد ليس في يدك.

أنت تسلم اللجام للنفس عندما تستسلم لها أول مرة،

عندما لا تقف وقفة جادة معها لتتحقق مما تأمرك به

فتخالفها وتتحداها بالإرادة، لتفهم أن اللجام في يدك أنت فتهابك نفسك.

كلنا لدينا تلك النفس الأمارة بالسوء، التي تريد أن تخرج بشهواتها إلى الخارج، تريد فرض نفسها،

وتضعفك بالاحتيال عليك بالأفكار السلبية..

بالحزن..

بالخوف من المجهول..

فتخور إرادتك أمام أهوائها، وتستحوذ هي عليك

وتأخذ بلجامك.

وما أدراك ما قيادة النفس لك... ثم ما أدراك ما قيادة

النفس لك!

فالحذرَ الحذرَ.. انتبه لما تسوله لك نفسك، وحاربها بالتوكل والاحتساب والتسليم لله تعالى.

لا تستمع إليها عندما تأمرك بما يدمرك.

لا تكن عبدًا لأهوائها، وإلا وضعتك في قاع مظلم لا قرار له واستمتعت بإذلالك.

فهناك نجد من يدمرون أنفسهم، فنقول عنهم إنهم يستمتعون بإذلال وإهلاك أنفسهم، والحقيقة العكس،

أنفسهم هي ما تستمع بذلك!

النفسُ إن هذبتها صاحبتك بالحسنى وكانت تحت أمرك، وإن لم تلتفت لتهذيبها وتتحدى أهواءها، شكلتك لتكون عبدًا مطيعًا لها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]

انتبه لقيادة نفسك.. واجعل لجامها في يدك أنت.

إنكار.... جحود... خذلان.... بهتان

وغيرها من المواقف التي تدمي القلب، وتهزم النفس..

وكي نتعامل مع ما سبق، علينا أن نعرف حقيقة دامغة أولًا، ألا وهي أن هذه الأشياء لا علاج لها إن أنت قصدت أن تلتمس العلاج من فاعلها، أي إن حاولت أن تجعل من أنكر خيرك، أو خذلك، أو عاملك بطريقة فيها انتقاص، أو افترى عليك، أن يتراجع ويبدي عرفانه وامتنانه واحترامه لك، ويصحح ما قاله عنك من وراء ظهرك! فهذا لن يحدث، وإن حدث فسيكون بسبب إرادته الحرة.

تأمل معي قول الله تعالى مواسيًا رسوله الكريم- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٩]

لم يقل له حاول أن تعمل على تغيير رأيهم، ولا وعده بأن يغيرهم له..

لأنه تعالى يريدنا أن نتخذ الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قدوة، فلا ننتظر من أحد أن يتغير لأجلنا، ولا نقف كثيرًا أمام من جحد فضلنا أو اقترف في حقنا أذًى معنويًا

بالغًا، وإن شعرنا بالخذلان والألم، فما لنا إلا التسبيح والسجود..

وكأن الله تعالى يريد أن يصرف انتباهنا عن سخافات البشر، يريدنا ألا نقف عاجزين أمام أنفس هزمتها أمراضها النفسية وشهواتها الرخيصة!

لذلك، واجه نفسك بالحقيقة.

لن يتغير أحد لأجلك.

لا تتوقع ندمًا من أحد ولا اعتذارًا، فقط حاول أن تلجأ إلى الله ليخفف عنك الألم النفسي، وابتعد عن مسببي الألم قدر الإمكان، وتعامل مع الله تعالى فقط عند تقديمك للمعروف.

لا تتجاهل سعتك «النفسية» و«المادية»، فلا تبذل منهما إلا بالقدر الذي يجعلك ألا تندم.

وتوقع الجحود والخذلان من البشر في أي وقت، ولكن تأكد أن حقك محفوظ، بل وسيتضاعف أجرك، إن أنت عاملت الله فقط واحتسبت.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠]

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور دعاء علمنا إياه رسولنا الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عند استيقاظنا من النوم.. فهل أدركت معناه؟

يهرع الكثير منا عند الاستيقاظ من النوم إلى احتساء القهوة والمنبهات كي ينبه جهازه العصبي لليوم الجديد..

يتعامل مع نفسه كأنه إنسان آلي..

وهناك من يريد أن يستأنف نومه، لا لعدم كفاية ولكن لعدم رغبة في الاستيقاظ..

ويأتي رسولنا الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لينبهنا بكلماته التي هي بمثابة قبس مشرق لأرواحنا، ووثبة قوية لقلوبنا، ومحفز قوي لطاقاتنا، أن يا أيها الإنسان لقد أحياك الله تعالى، وأعطاك فرصة جديدة، أحياك ماديًا بجسدك، ومعنويًا بروح جديدة.

نعم، فربما أمات الأمس داخلك أشياء فخلدت إلى نومك مهمومًا مغمومًا...

ولكنه تعالى أحياك اليوم لتحياه، لا لتكمل ما فعله الأمس بك، بل لتستقبل يومك بحمد الله على الفرصة التي منحك إياها لتصحح وجهتك وتعيد رسم هدفك.

نعم، لقد أمات الله تعالى أمسَك مع نفسك القديمة

فيه، وأحياك اليوم مع يوم جديد... فهل تجددت؟!

هل استشعرت الفرصة؟!

هل تذوقت المعنى؟!

هل اغتنمت؟!

انهض من غفلتك واحمد ربك، ولا تعش شيئًا أماته الله تعالى لك وأحياك أنت... نعم انهض، فالخيار هنا متروك لك.

فلسفة الموت!

عندما يُذكر الموت في أي مكان؛ تنقبض قلوب الكثير من الناس، ويبادرون بكلمات لتدفع عنهم «شر» الموت!

ولكن رسولنا الكريم -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان له توجيه آخر لنا، فعن أبي هريرةَ -رَضِيَ اللَّه عنه- قال: كان رسولُ اللَّه -صلَّى اللَّه عليه وسلَّم- يُكثِر أن يقولَ: «أكثِروا مِن ذِكْرِ هاذِمِ اللَّذَّاتِ»[1].

لماذا نكثر من ذكر الموت؟ هل لننغص علينا الدنيا؟ هل هو نوع من التشاؤم؟

الحقيقة أن ذكر الموت له تأثير إيجابي جدًّا في حياتك أيها الإنسان إن انتبه قلبك للمعنى..

الكثير منا لا يحسن التعامل مع وقته، وكأن لديه الكثير منه يبدده كيف يشاء، لكن إن تذكرنا الموت أصبح للوقت قيمة حقيقية، لأن التعامل معه سيختلف، ستتم معاملته بحرص شديد.

فالإنسان لا يشعر بقيمة الشيء إلا إذا انتبه أن هناك ما يفنيه.

---

(١) رواه الترمذي، والنَّسائي، وصحَّحه ابن حبَّان

أيضًا، سيعرف الإنسان معنى الامتنان للأشياء التي عنده، لأنه سيتركها ويرحل عنها في أي وقت، فسيركز على الاستفادة منها وليس اكتنازها والاستزادة غير المبررة منها..

ستتغير معاملته للآخرين، سيكون أكثر تراحمًا وتعاطفًا، ولن يأكل حق أحد، أي سيكون أكثر سعادة واطمئنانًا في علاقاته بالآخرين..

ستتآكل الظنون والأطماع، لأن الدنيا بما فيها ستهون عليه..

فإن كان تاركها لا محالة، فما فائدة التناحر والتباغض والتنافر وإهلاك الطاقة النفسية في اللا شيء؟!

ذكر الموت يجعلك أكثر قربًا من الله سبحانه وتعالى، أكثر طمعًا فيما عنده؛ وبالتالي ستنضبط أهواء نفسك شيئًا فشيئًا لتخضع لأوامر الله ونواهيه.

ذكر الموت يجعلك أكثر استمتاعًا بالحياة، فكما ذكرت سابقًا، الإنسان لا يشعر بقيمة الأشياء إلا إذا أيقن فناءها.

انظر للموت من هذه الزاوية، وحتمًا ستتغير فلسفتك وطريقتك في الحياة!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾
[المعارج: ١٩ - ٢٠]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٨]

نفس الإنسان ضعيفة جدًّا، هكذا خلقها الله تعالى، والحياة مليئة بالتحديات الكبيرة..

كوارث..

ظلم..

اضطهاد..

تنمر..

عنصرية..

ونجد الإنسان يصمد تارة، وينهزم تارة أخرى، يشعر بالأمل مرة، وأحيانًا يدفعه يأسه للتساؤل: أين الله تعالى من كل هذا؟!!

وهناك من لا يفكر ويستجيب لحالته النفسية؛ فينتحر، وهناك من يموت غيظًا وكمدًا لأن نفسه لم تتحمل..

لذلك يجب أن تعلم..

أن النفس القوية التي تصمد أمام أهوال الدنيا، هي نفس لم تُجلب على ذلك، ولكنها نفس تعب صاحبها في تربيتها وتقويتها.

النفس القوية ليست صنيعة الترف والحياة الرغيدة الخالية من المنغصات، بل على النقيض، هي صناعة الظروف الصعبة والتحديات.

إن الله تعالى أوكل مهمة تربية النفس لصاحبها، حتى يقطع عليك أيها الإنسان لوم الأهل والظروف..

نعم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ [الشمس: ٩]

ونعم، ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٨]

ولكنك أنت من تهذبها وتغرس فيها بذور القوة.

يقولون على الشخص القوي ذي الخبرة العميقة (هذا إنسان طحنته الدنيا بتحدياتها).

وهذا يعتبر صحيحًا، إذا كان الإنسان يتعلم من رحى الدنيا..

يخلع عصابة الكمالية الزائفة عن عينيه؛ ليرى حقيقة الدنيا..

فالدنيا ليست مصممة لتكون دارًا للراحة، أو الأمن أو الدعة أو الركون أو السكون، فأحوالها في حالة من التعاقب والإدالة والتغيير المستمر، ونحن من نكيِّف أنفسنا معها وليس العكس.

تربية النفس على القوة، معناها أن تقيم النفس على ثوابت راسخة، ثوابت حقيقية، تعلُّمها أن تتأدب مع الله تعالى في كل الأحوال، فلا تتزعزع ولا تتغير مع تقلبات الدنيا، وهذا لن يتأتى إلا بتغيير مركزياتك،

فليكن الله تعالى هو المركز الذي تدور في فلكه باقي مركزياتك.

ومن هنا فقط، ستتغير الأصول التي تربي بها نفسك.

لن تكون النفس قوية بالصوت العالي، أو الأنانية التي ينادي بها البعض، ولن تكون قوية بالانهزامية والهوان والاستسلام الضعيف الذي ينادي به آخرون، بل ستكون قوية إن كان محور تركيزها قويًا، إذا آوت إلى ركن شديد من العقيدة الراسخة والعلم السليم..

إذا وصلت إلى مرحلة الاستغناء عن اللهاث والتعب لإرضاء هذا وذاك؛ ليترسخ معنى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)، وهذا المعنى هو زاد الرحلة وليس نتيجتها فقط.

نعم.. قوة النفس تكتسبها في فلترة أعمالك وتهذيبها لترضي الله تعالى عنك؛ فترضى وتطمئن وتسكن نفسك مهما باغتتها النوازل.

ونفس ...

قال تعالى في سورة الشمس:

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ١ - ٨]

وكان جواب القسم هو: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس: ٩ - ١٠]

وكلنا نعلم أن الله تعالى لا يقسم على أمر إلا لكي يلفت انتباهنا لأهميته.

ولكن... عندما تأملت ما أقسم عليه الله تعالى انتبه عقلي لشيء..

فقد أقسم الله تعالى بآيات كونية:

الشمس.

القمر.

النهار.

الليل.

السماء.

الأرض.

ثم أقسم بالنفس، وكأن النفس تحوي كل ما سبقها من الظواهر!

فالنفس مليئة بالمتناقضات، ففيها من الوضوح ما يجعلها كالنهار وشمسه الساطعة، وفيها من الأسرار ما يجعلها كالليل وقمره متغير المنازل، يرتقي الإنسان بها ليتصل بسماويته تارة، ثم يهوي بها لإشباع أرضيته تارة أخرى، ويظل يعالج ويعاني المتناقضات داخله، إلى أن يفلح بتزكيتها، أو يخيب ويترك أمره للهوى فيضل ويشقى .

لذلك؛ لا تحسبن أن تزكية النفس بالأمر الهيِّن، فأنت تواجه كونًا داخلك!

الهشاشة النفسية!!

الهشاشة مبدئيًا هي حالة الوهن التي تصيب الإنسان، وتجعله غير قادر على مواجهة حياته والناس.

وهذا الوهن لا يداهم الإنسان فجأة، بل الإنسان نفسه هو من يسمح له بالدخول، وبناء معسكره داخله.

جميعنا لدينا مشاعر إنسانية متنوعة، تظهر في مناسبات مختلفة، وهذه المشاعر تختلف حدتها من شخص لآخر، ولكن على العموم، تهذيبها متاح للجميع..

عندما تشعر وتظهر مشاعرك، من قلق، أو خوف أو حزن أو خيبة أو فرح، فهذا ببساطة لأنك إنسان، ولكن، أن تبالغ وتستغرق في مشاعرك لدرجة أن تشل حركة حياتك، هنا يبدأ الوهن يتسلل داخلك؛ فتشعر بالانكسار والذل حتى ولو كنت عزيزًا..

تستسلم للآخر حتى ولو كنت الفائز..

تخاف رغم قوتك.. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥]

يأتي هذا الوهن عندما تتعامل مع نفسك بطريقة غير صحيحة، توهم نفسك بالضعف، والحقيقة أنك متكاسل، توهم نفسك بعدم القدرة، والحقيقة أنك لا تريد أن تتعب، تترك لنفسك الحبل على الغارب لتستغرق في المشاعر السلبية حتى تتضخم؛

فيتحول الشعور من مجرد وهم إلى أفكار تتملكك؛

فتجد نفسك منكسرًا..

معتمدًا..

غير واثق بنفسك..

حزينًا..

فتدخل دائرة من الاكتئاب المظلم!

والحل هو:

أولًا: أعطِ لكل أمر حجمه، عوِّد نفسك على الاعتدال، لا تبالغ في فرحك أو فى حزنك، وهذا يحتاج إلى ملاحظة ومحاسبة بشكل دائم.

ثانيًا: اعتمد على نفسك في قضاء أمورك، وحاول أن تقلص اعتمادك على الآخرين، اللهم إلا للضرورة فقط، فالاعتمادية تورث المهانة والمذلة.

ثالثًا: أشغل وقت فراغك بما ينفع، وتحرك على قدر المستطاع، فشعور القلق يسيطر على الإنسان وهو في حالة فراغ أو كسل.

رابعًا: لا يكن الاستسلام أسلوب حياتك، ويجب أن تفرق بين مفهومي الاستسلام والتسليم لأمر الله تعالى.

والأهم من كل ما سبق، اعرف لماذا خُلقت، وأين أنت من مهمتك على هذه الأرض، وانشغل بتحقيق عبوديتك لله تعالى..

وتأكد، أن أي شيء يتضاءل حجمه في نظرك كلما ركزت على الأهم.

الباب الثاني
الْحُجُب

الْحُجُب!

الْحُجُب هي كل ما يحجب بينك وبين معرفة الحقيقة..
بينك وبين الهداية..
بينك وبين التوفيق..
بينك وبين معرفة المعاني الجميلة ورؤية نفسك والآخرين بعين منصفة.
وهي ليست بالضرورة حجبًا ظاهرة أو طارئة،
بل هناك حجب يصنعها البعض لنفسه، فتصير كالغشاوة الدائمة على عينيه لأنه هو من صنعها،
وسأتناول تلك الحجب في مقالات منفصلة، لإلقاء الضوء عليها.

الحجابُ الأول
الاستحقاق!

وهو أن يغذي الإنسان في نفسه هذا الشعور، شعور (أنا أستحق الأفضل)!

الحقيقة أن فكرة الاستحقاق هذه، فكرة ماكرة جدًا،

لأنها في حد ذاتها فكرة مشروعة وعادلة نوعًا ما،

ليس هذا فقط، بل إن مردودها فعال جدًا.

فالإنسان حينما يشعر بالاستحقاق تتغير تصرفاته تجاه أشياء كثيرة:

يبدأ في التفكير في ذاته أكثر.

يرفض استغلاله.

يرفض أن يتواجد مع من لا يشعرونه بالاستحقاق،

ولكن حين يتغول هذا المعنى في قلبه ونفسه؛ تحل غشاوة الاستحقاق على عينيه لتصير حجابًا؛ فلا يعد يرى فضلًا من أحد، فكل كل ما يبذله الآخرون له هو يستحقه.

لا يشكر، لا يثني على عمل..

لا يستطيع أن يسامح أو أن يعفو..

لا يتقبل زلات الآخرين.

فالحجاب ستر عنه الجميل، لا يشعر أنه يدين بالفضل لأحد، لم يعد يرى حقيقة البذل والتضحية، يتحول إلى شخص ناكر، ثم ناقم، لا يعرف التواضع إليه سبيلًا،

ثم يصاب بأخطر أمراض القلوب ألا وهو «الكبر».

لذلك، لا تسلم نفسك أيها الإنسان لغول الاستحقاق، ولا تسر خلف من يؤزك أزًّا لتتغافل عمن حولك ولا ترى إلا نفسك، حتى لا تجد نفسك يومًا «مستحقًّا» للهلاك.

الحجابُ الثاني
حجاب الشك والريبة

وهو حجاب خطير جدًّا، لأنه يؤدي إلى عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة..

يحيك الإنسان لنفسه هذا الحجاب ويطرحه على قلبه؛ فيعمى القلب عن رؤية الحقائق، حتى الظاهر منها!

نعم، يحيك الإنسان لنفسه، وما للآخرين عليه من سلطان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [الحديد: ١٤]

والمواد التي يستخدمها الإنسان في حياكة ذلك الحجاب لنفسه، هي شهوات الفكر، من فلسفات وخواطر فاسدة، ما أنزل الله بها من سلطان، وشبهات تخرج من عقول جاهلة؛ فتقود الإنسان إلى هاوية لا قرار لها، وتقيد العقل فتجعله عاجزًا، وتظلم القلب فتجعله أعمى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦]

متى سمحت أيها الإنسان للشك والريب ولوج قلبك؛ فأنت بذلك قد أعطيت الإذن بحجب نفسك عن نور الحق وشمس الحقائق...

سئل أعرابي: كيف عرفتَ اللّه؟ فقال: البَعرة تدلُّ على البعير، والأثر يدلُّ على المسير، فسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذاتُ فِجاج، أفلا تدلُّ على العلي الخبير؟!

عقل لم تلوثه التُّرَّهات، عرف الحقيقة من بعض الإشارات!

لذلك، عليك أيها الإنسان أن تنتقي ما تعرضه على قلبك، وما تغذي به عقلك، وألا تعرضهما لبعض النفايات الفكرية!

الحجابُ الثالث
المثالية

ننشد المثالية في أعمالنا وفي أنفسنا كنوع من المحفزات لاستمرار العمل، نعلم أننا «لن نبلغها»، ولكنها وسيلة للارتقاء بوضع أهداف مستمرة ومحاولة الوصول إليها.

نعلم أن الفشل ليس حائلًا أو النهاية، ولكنه موجود في طريق تحقيق الهدف، فقط علينا التعلم منه وتجاوزه، نحتوي الأخطاء ونعمل على تصحيحها، نقبل الأعذار المنطقية من الآخرين؛ فنعيش حياة متوازنة مثالية بالمعنى الذي يجب أن نعتنقه!

ولكن...

البعض يرى بالفعل أن المثالية واجبة التحقيق، سواء في نفسه أو في غيره؛ فيشكل هذا المفهوم حجابًا بينه وبين الواقع.

فلا يرضى بالزلات..

ويختنق من العثرات..

ويقطع علاقات لينشد المثالية في غيرها، فهو ليس لديه سعة صدر لاحتواء الأخطاء، ويظل في حالة من عدم الرضا والخواء، والقلق المستمر لأنه ينشد مستحيلًا،

وربما تحول شعور وجوب المثالية إلى النقيض تمامًا؛ فيعيش في حالة من اللامبالاة لأنه عجز عن تحقيق المثالية وقابل بعض الفشل؛ فينظر للحياة نظرة سوداوية!

إن مفهوم المثالية الإنسانية مفهوم معقد جدًا لأنه ليس له نهاية أو حدود، فهو «حالة من العمل المستمر» إلى أن تفيض روح الإنسان إلى بارئها؛ ليكون قد حقق «نصيبه» منها في رحلته، هذا إن كان ينشد الارتقاء بنفسه.

المثالية البشرية تقبع في «عدم الاستسلام» ومحاولة الإنسان الدائمة للارتقاء، وفهم واحتواء نقصه ونقص الآخرين.

الحجاب الرابع
سطوة التفكير

التفكير عملية عقلية هامة جدًا للإنسان، فهو وسيلته للإدراك والمعرفة واتخاذ القرار.

وهو السبيل الذي به نتعرف على الخالق سبحانه وتعالى.

وقد أمرنا الله تعالى بالتفكر، وهو التفكير الواعي العميق للوصول وإدراك حقيقة الأشياء.

وكما قال العقاد -رحمه الله- في كتابه «التفكير فريضة إسلامية»: «شر الناس من يحرم على خلق الله أن يفكروا ويتدبروا بعد أن أمرهم الله بالتفكير والتدبر وأنبأهم بعاقبة الذين لا يفكرون ولا يتدبرون».

التفكير السليم يهدي إلى الحق والنور والاستقامة، هذا إن استطعت أيها الإنسان توجيهه عن طريق توجيه حواسك وتركيزك وطاقتك إلى ما يهدي وينفع.

ولكن للأسف، التفكير يتأثر تأثرًا كبيرًا جدًا بالمشاعر، فإن ولجت قلبك بعض المشاعر السلبية؛ ستبدأ الأفكار السلبية في التكاثر في الحال لتواكب هذه المشاعر، وإن استسلمت لهذه المشاعر، ستضرب بحجاب «فرط التفكير» على عقلك، وستعاني من آثار سطوة التفكير الوخيمة، من قلق وخوف وحزن وضغط عصبي واكتئاب، ولن تستطيع

مباشرة حياتك الطبيعية، ولن يدخل الفرح قلبك؛ لأن حالة فرط التفكير ستتسيدك، ويكون لها اليد العليا عليك، ولكن بسلبية.

لذلك؛ حاول دائمًا أن تكون منتبهًا لمشاعرك وما يلفت انتباهك وتركيزك، لأنه في الغالب هذه الأشياء هي التي تهوى بتفكيرك إلى مكان سحيق إن لم تنتبه لها.

أشغل تفكيرك بوعي وإرادة منك، وتدرب على سيادة عقلك وقيادته، ولا تسمح لبعض المشاعر أو الأفكار العشوائية أن تسلب إرادتك لتسوقك حيثما شاءت.

كن أنت سيد أفكارك.

الحجاب الخامس
غياب المعنى

تذوق المعاني الجميلة -من وجهة نظري- أحد أسباب السعادة في الدنيا.

فتمكن المعنى من النفس هو ما يحقق رسوخ الفكرة والإيمان بها، وأيضًا يجعل التمسك بها (إن كانت حميدة) أو التخلي عنها (إن كانت رذيلة) يسيرًا.

ما يفرق بين إنسان وإنسان في تناول قيمة معينة، هو رسوخ معنى تلك القيمة في نفسه.

فهم المعنى «نظريًا» دون ترسيخه «عمليًا» في الوجدان يجرده من كنهه، فالجميع يعلم المعاني، ولكن القليل من يرسخها في نفسه!

فالمعنى ممارسة.

عندما سئلت السيدة عائشة -رضى الله عنها- عن خُلق رسولنا الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالت: «كان خُلقه القرآن».

أي أنه كان يتخلق بمعاني القرآن.

فخلقه ﷺ كان «معاني القرآن» تسير على الأرض غياب المعنى عن قلبك أيها الإنسان، يجعلك جاهلًا بحقيقته، مثل الفاكهة التي يعجبك منظرها، ولكنك لم تتذوق طعمها!

غياب المعنى عن قلبك يرمي بحجاب بينك وبين ترسيخ الكثير من الفضائل في نفسك، لأن «تزكية النفس» في حد ذاتها معنى يجب أن تفهمه وترسخه بداخلك وتبدأ في التطبيق، لأنك ستتحمل الكثير في طريق التحلية والتخلية.

إذا أعجبتك قيمة ما، تأمل معناها، طبقها في حياتك لتتلذذ بالمعنى!

الحجاب السادس
التوقعات الزائدة

عندما يتوقع الشخص أي شيء من شخص آخر ويبني آمالًا عليه، دون أن تكون هذه التوقعات لها وعود واضحة، أو أساس، فإنه بذلك يبني قصورًا في الخيال لا وجود لها على أرض الواقع.

وبحسب حجم هذه التوقعات، يكون حجم الألم والخيبة عند مواجهة الواقع.

فالتوقعات تبني حجابًا بينه وبين الواقع.

المشكلة الحقيقية تكون عند الأشخاص الذين لهم قوالب تفكير ثابتة، وبالتالي توقعات ثابتة، وهي توقعات مرسومة على شخصيتهم وتربيتهم، أو ربما رغبتهم، ويتوقعون أن الآخرين يفكرون مثلهم، أيضًا هناك أشخاص يعانون من مركزية النفس، يتوقعون لأنفسهم الكثير من الآخرين، ويتخذون موقفًا عدائيًا عندما يخيب ظنهم.

إذًا ما هو الحل؟

لنكن واقعيين، لن أقول لا تتوقع شيئًا من أحد، لأن هذا التوجه الذهني لن يأتي بغتة، ولكنه يحتاج لتدريب.

أولًا: لا تبِن توقعات على ظنون وأوهام، أو كلام فهمته من بين السطور، إذا ظننت شيئًا، صارح به الشخص وتبين

صحة ما فهمت، ولا تظن أن من أمامك سيفهم من تلقاء نفسه ما يجول في فلك خيالك، فالناس لا وقت لديها لأحد.

ثانيًا: ضع مسئولية سعادتك على نفسك ولا تنتظرها من غيرك.

ثالثًا: لا تنتظر رد الجميل من أحد عملت معه معروفًا يومًا ما، وحاول توجيه ذهنك أن المعروف رده من عند اللّٰه تعالى ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٩]

رابعًا: يجب أن نعرف تمام المعرفة، أنه عندما يعاملنا الغير بلطف أو كرم زائد، هذا ليس وعدًا منه بشيء، ولكنه طبع لديه ولا يجب محاسبته إذا امتنع، أو قلل ما يفعله، فكل إنسان له ظروفه ونفسه المتقلبة أحيانًا.

خامسًا: نحن بشر، فلا يجب محاسبة بعضنا البعض على أننا ملائكة.

ولنتذكر هذه المعادلة دائمًا:

التوقعات - الواقع = خيبة الأمل!

الحجاب السابع
حديث النفس السلبي

الحديث مع النفس أمر غاية في الأهمية، هذا إذا كان الهدف منه المحاسبة المنهجية وتزكيتها والارتقاء بها، أما إذا تحول إلى معركة مع النفس دون أي أهداف واضحة؛ فسيتحول الأمر إلى النقيض تمامًا، سيضع حجابًا غليظًا يحول بين الإنسان وبين احترام ذاته وتقدمه، سيتسبب في ضعف الثقة وكراهية النفس، وإن كانت كراهية مستترة لا يعلم صاحبها بها، إلا أن صاحبها سيتصرف على أساسها، فتجده كثير جلد الذات، أو التبرير، أو الإسقاط دون التغيير الحقيقي والتصحيح والارتقاء؛ فيعيش في حالة من الضيق وعدم الراحة.

والحل هو:

الحديث الإيجابي مع النفس.

وضع خطط معها قابلة للإنجاز.

تصحيح الأخطاء على قدر الاستطاعة.

وضع اليد على أسباب الفشل وعدم تكراره.

تحويل الأفكار الإيجابية إلى أفعال على أرض الواقع.

وضع نقطة نهاية للتبرير أو جلد الذات أو الإسقاط.

تحمل المسؤولية.

احذر من حديث النفس السلبي، لأن عدوك الحقيقي فيه هو نفسك!

الحجاب الثامن
التعلق

الحجاب الثامن هو التعلق.

من أخطر الحجب النفسية هو التعلق بغير الله تعالى..

التعلق بالأشياء..

بالأشخاص..

بأي شيء يجعل الإنسان تائهًا إن غاب عنه ما تعلقت به نفسه.

التعلق يجعل الإنسان يتنازل عن حقوق مشروعة له، لمجرد أن ينال رضا من يتعلق به..

أو أن يحظى به..

التعلق هو نوع من الأغلال النفسية، التي تقيد فكر الإنسان وإرادته ومشاعره، تجعله يدور حول فراغ،

وأثناء ذلك يبدأ في فقدان نفسه، على عكس المشاعر الجميلة الصحية التي تربطنا بالأشخاص، بالأماكن، بالأشياء، نجدها تضيف لنا ولنضجنا النفسي، وربما الصحي..

نعم، تضيف ولا تسلبنا شيئًا.

لا تعجزنا.

تترك داخلنا دفئًا..

شوقًا..

وليس حنينًا جامحًا يستنزف طاقتنا ويجعلنا كالتائهين.

ولكن، أحيانًا نتعلق رغم أنوفنا، فالنفس عندما يأسرها شيء تنساق إليه عمياء!

لذلك؛ علينا أن نفهم حقيقة مشاعرنا، وإن شعرنا بمشاعر التعلق والوهن الذي يصاحبه، علينا أن نتوقف.

نتألم، ولكن سنتدرب بهذا الألم الوقتي على الاستغناء، نتعلم أنه ليس كل ما يمر في حياتنا الغرض منه البقاء أو الاقتناء؛ لذلك ليس علينا التتبع والاقتفاء، بل علينا التقدم والاكتفاء..

وكل شيء يؤلمك سيعلمك...

وإن عرفت نتيجة التعلق السلبية لخلعت عنك حجابه ولحطمت عنك أغلاله؛ حتى تعيش نفسك الحقيقية، دون الخوف من الفقد أو الخسارة، ولكسبت حريتك!

الحجاب التاسع
الأنانية

يجب على الإنسان معرفة حقوقه وواجباته..
أن يكون لديه وعي باحتياجاته.
أن يعرف كيف يريح نفسه.
أن يختار دائمًا ما فيه نفع له.
أن يدرأ عن نفسه المفسدة.
أن يحمي نفسه..

هذه من حقوق النفس الأصيلة على الإنسان، ولا يجب أبدًا لومه على اختيار ما فيه مصلحة لنفسه.

ولكن، هناك من يبالغ في تقديم مصلحته على أي شيء، حتى أنه يتعامى عن مصلحة الآخرين، بل إن هناك من لا يرى حرجًا في تحقيق راحته ومصلحته على حساب الآخرين..

هذا عندما يتمركز شعور الإنسان حول نفسه وذاته؛
فتتولد لديه أنانية تلقي بحجابها على عينه وقلبه..
فلا يشعر بمعاناة أحد.
ولا يهتم بمنفعة أحد.
فهو لا يرى في محيطه إلا نفسه.

مثل هؤلاء يبتعد عنهم الآخرون شيئًا فشيئًا؛ ليجد نفسه وحيدًا يومًا ما، فلكل نفس طاقة وسعة، والحياة أصلها

الأخذ والعطاء.

وفي بعض الأحوال تحتاج الحياة بعض التنازلات لتستقيم الأمور، أشياء لا يستطيع تقديمها الشخص الأناني؛ لذلك تجده كثير النزاع والصخب، لا يهتم بديمومة العلاقات التي تحتاج بذلًا وعطاءً.

كل ما يهمنا إذًا هو تحقيق المصلحة الخاصة دون الإضرار بالمصلحة العامة والعكس.

إذا علمت ما تفعله الأنانية بك حقًّا أيها الإنسان لأحرقت حجابها بيديك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢]

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩]

وقال رسولنا الكريم -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِه[1]..

فالأنانية حجاب غليظ بين الإنسان وبين البر والإيمان، والفلاح، والإحسان، والتوفيق.

الأنانية في حقيقتها إنما هي أذى خفي للنفس..

لذلك؛ أحسن إلى نفسك، واحمِها من الأنانية.

---

(١) الراوي : أنس بن مالك ، المحدث : البخاري، المصدر : صحيح البخاري

الحجاب العاشر
التطلع

التطلع إلى مستقبل باهر..

إلى النجاح..

إلى الغنى..

إلى الشهرة..

هذه تطلعات مشروعة، بل وحافزة للإنسان أن يعمل ويجتهد ويرتقي ويتقدم.

ولكن....

حال الدنيا التقلب..

بين النجاح والفشل.

بين اليسر والعسر.

فإذا انغمس الإنسان في تطلعاته الدنيوية، أنسته آخرته وغايته الحقيقية في الدنيا، وألقى الْكُنُود حجابه على قلبه؛ فيعمى الإنسان عن رؤية النعم الحقيقية،

فلا يرى سوى النقم إذا لم تتحقق طموحاته أو لم يتحقق جزء منها، ولن يعرف الامتنان، ولن يجد الرضا إلى قلبه سبيلًا؛ فيعيش في غم وهم وسخط.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [العاديات: ٦ - ٨]

الكنود يؤدي للقنوط.

لذلك؛ يجب أن تكون واعيًا، متزنًا في طموحاتك، ساعيًا لتحقيق أهدافك، واعيًا أنه (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) واجعلها ملائمة لرحلة مؤقتة، (فهذه حقيقة دنياك).

توكل على الله حق التوكل، وفوِّض أمرك إليه..

مطمئنًا لحكمته..

مستسلمًا لقضائه..

من المهم أن يكون لك نصيب من الطموحات الدنيوية، ففيها معاشك، ولكن لا تجعلها تستعبدك وتنسيك عاقبة أمرك.

الحجاب الحادي عشر
العجلة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]

والمعنى: خُلق جنس الإنسان مجبولًا على العجلة والتسرع، فتراه يستعجل حدوث الأشياء قبل وقتها المحدد لها، مع أن ذلك قد يؤدي إلى ضرره.

العجلة تجعل الإنسان في حالة من التأهب والترقب، وهي حجاب سميك بينه وبين الرضا والسكينة والطمأنينة..

استعجاله للأحداث ربما أدخل القنوط إلى قلبه؛ فيتمرد وينكر نعم الله تعالى الأخرى في حياته، فهو لا يرى إلا ما يتعجل حدوثه ويقيس رضا نفسه عليه، فهو لن يرضى إلا بحدوثه، هذا ما يجعله يظن بالله الظنونَ.

العجلة من الصفات التي يجب أن يجاهدها الإنسان في نفسه، فيعوِّد نفسه الصبر، ويضبط إيقاعها لصالحه، فيكون شخصًا مبادرًا للخير..

للتوبة.. للإصلاح..

أما ما عدا ذلك، فيجب أن يحسن الظن بالله تعالى ويعود نفسه أن يفعل ما يستطيع ويسلم أمره لله.

ودائمًا يضع أمام عينيه حقيقة أنه مهما تعجل الأمور فلن يحدث إلا ما كتبه الله تعالى له أو عليه.

الحجاب الثاني عشر
غياب الغاية أو تغييبها

عدم وجود غاية واضحة يسعى إليها الإنسان تجعله في حالة شتات نفسي وفكري، هذه الحالة من الشتات تضع حجابًا بينه وبين الإنجاز والاستقرار الوجداني والتقدم في الطريق الصحيح.

وكما ذكرت في العنوان «غياب الغاية أو تغييبها»

فغيابها ربما كان بسبب جهل الإنسان بها، لكن تغييبها يكون بقصد من الإنسان، وهذا حينما يركن إلى الراحة والدعة ولا يريد الانشغال لتحقيق غاية سامية، لأنه بالتأكيد سيكد ويتعب لذلك.

عندما تشعر بفتور أو شتات، عليك أن تتذكر غايتك، حاول التركيز على الوصول إليها، وألا تبدد طاقاتك في اللاشيء، وألا تلتفت للمشتتات، واحرص على أن تكون غايتك ذات قيمة تستحق السعي إليها، ولا تنسَ الغاية العظمى التي أرادها الله تعالى لنا، وجعل عبادته والإخلاص له وحده هو السبيل الموصل إليها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٩]

من حدد غايته حدد وجهته..
ولمَّ شمل نفسه..
وأصبح من السهل عليه فلترة محيطه، وفلترة ما يشغله.
وسهلت عليه الاختيارات.
وتنعم بدنيا مطمئنة داخل نفسه، وإن أحيط بالصخب!

الحجاب الثالث عشر
الأمان!

الشعور بالأمان هو أحد أهم احتياجات الإنسان، إن لم يشعر به الإنسان لن يستطيع مواصلة حياته بشكل طبيعي ومتزن.

ننشد الأمان في حياتنا وعلاقاتنا مع الآخرين، فهو الطريق الذي يساعد على بناء نفس سوية، ولكن يتحول هذا الشعور إلى حجاب بين الإنسان وعلاقته بربه والإيمان الصحيح..

بينه وبين المعاملات الصحيحة والصحية..

بينه وبين سلامة القلب..

إذا أمِن الإنسان مثلًا عقاب الله تعالى ومكره؛ دفعه ذلك إلى ارتكاب المعصية بأريحية دون تأنيب أو مراجعة.

إذا أمن العقاب من أي أحد، ربما دفعه ذلك إلى إساءة الأدب.

الخوف ربما كرهه الكثير، ولكن الإنسان يحتاج جرعة منه لكي يحمي قلبه من القسوة ببعض الوجل.

عبادة الله تعالى لا تكتمل الا بالرهبة.

الأمان الذي يحول بينك وبين الطاعة والخير هو أمان مذموم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٩]

والخوف الذي يحفزك للإصلاح والمراجعة هو خوف محمود.

كن واعيًا لمشاعرك..

فليس كل أمان حافزًا..

وليس كل خوف حاجزًا.

الباب الثالث

تذكرة
ومتاعًا للمقوين!

نحن في هذه الحياة الدنيا في رحلة موجزة، رحلة عبادة، رحلة امتحان، رحلة صبر، رحلة مجاهدة وتزكية...

نحتاج أن نتزود أثناء الرحلة زادًا يعيننا على المسير حتى بلوغ المرام.

ولن نجد مثل آيات الرحمن للتزود بها.

وفي هذا الباب تدبرات لبعض آيات رب العالمين، عسى أن تكون معينًا ومتاعًا للمقوين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التوبة: ١١٨]

الإنسان ذو النفس الطيبة، لا يستطيع التعايش مع الذنب، ولا يستطيع قبوله على نفسه فترة طويلة.

جاء القرآن هنا ليصف شعور هذا الإنسان الطيب؛ حيث إن الأرض تضيق به، ولا يجد متسعًا لنفسه حتى داخل نفسه، وهذا الضيق «نعمة» من الله تعالى، فهو ما يدفع الإنسان دفعًا ليتوب ويرجع إلى الله تعالى، فلا يبرح بابه حتى يقبل الله توبته؛ فينشرح صدره بالتوبة.

أما «المصيبة» الحقيقية، فهي أن يقع الإنسان في معصية ما وتأنس بها نفسه ويعيش مطمئنًا طمأنينة زائفة ثم يلقى مصيرًا لم يحتسبه!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل: ٢٠]

فعلك للخير -أيُّ خيرٍ- هو زخر لك في آخرتك، فلا تبحث عن المردود في الدنيا أو بين البشر، افعل الخير واحرص على فعله وقلبك معلق بالله وحده، فهو وحده من سيجازيك عليه.

توقع إنكار خيرك من البشر ولا تهتم، ولا تقل أبدًا لقد ضاع وقتي أو خسرت مالي أو.. أو.. على من لا يستحق.

فكل ما تفعله في الدنيا مردوده لنفسك ولنفسك فقط.

أنت من تحتاج للخير الذي تفعله أكثر من الذي تقدمه إليه..

كل نفس بما كسبت رهينة، فاحرص أن يكون خيرًا حتى تجني خيرًا...

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل: ٢٠]

فعلك للخير -أيُّ خيرٍ- هو زخر لك في آخرتك، فلا تبحث عن المردود في الدنيا أو بين البشر، افعل الخير واحرص على فعله وقلبك معلق بالله وحده، فهو وحده من سيجازيك عليه.

توقع إنكار خيرك من البشر ولا تهتم، ولا تقل أبدًا لقد ضاع وقتي أو خسرت مالي أو.. أو.. على من لا يستحق.

فكل ما تفعله في الدنيا مردوده لنفسك ولنفسك فقط.

أنت من تحتاج للخير الذي تفعله أكثر من الذي تقدمه إليه..

كل نفس بما كسبت رهينة، فاحرص أن يكون خيرًا حتى تجني خيرًا...

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١]

(يدبِّر الأمر)... آية إذا وقعت على القلب المتعب المضطرب سكنته وأسكنته..

يا أيها الإنسان، لن تستطيع، ولو حرصت، على تدبير أمورك وحدك، ولن ينفعك قلقك، ولن يدفع عنك الشر حرصك، ولأن قلبك يعلم عجزك، فيصيبه القلق، ويسيطر عليك التفكير، ويتملكك الهم حتى تفيء إلى أمر الله تعالى، وتسلمه أمرك ليدبره لك عنك.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [التكوير: ٢٦]

أين تذهب بك أفكارك أيها الإنسان؟!

كيف تسمح لبعض الأهواء أن تسيطر على حياتك؟!

كيف تترك نفسك تقودك إلى سبل مجهولة وتضل بك عن سواء السبيل؟!

«أين نحن ذاهبون»؟!

سؤال يجب أن تتوقف كل فترة لتسأله لنفسك لتهذبها، تسأله لأفكارك لتراجعها وتصححها، حتى تطمئن أنك على الطريق الصحيح.

٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]

لا يغرنك جبروت البعض، ولا تتوهم ثبات أركانهم في الدنيا، فلا شيء ثابت في هذه الحياة الدنيا المتقلبة والمتغيرة، حتى الجبال الراسيات الشامخات، ستكون عهنًا، أي صوفًا منفوشًا متناثرًا، بلا قيمة يوم القيامة، وهي ما كانت تعتمد عليها الأرض لتثبت.

فلا تيأس ولا تغتر ولا تتوهم ثباتًا وقوة في نفسك أو غيرك، بل كن وجلًا، واسأل الله تعالى الثبات على ما يحبه ويرضاه..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة: ٧٧]

النفاق ليس خصلة تدخل قلب الإنسان بغتة فيصير منافقًا، بل النفاق مرض قلبي، يصل إليه الإنسان بممارسات، ربما اعتقد أثناء ممارستها أنها أشياء صغيرة وليست نفاقًا..

يعد فيخلف..

يتحدث فيكذب ولو على سبيل الفكاهة..

يؤتمن فيخون، ويبرر خيانته لنفسه قبل غيره ولا يدري بأنه يبني للنفاق مركزًا داخل قلبه!

لذلك.. راقب نفسك وتصرفاتك وأقوالك، وتحقق دائمًا من نواياك، فالنفاق يتعلق بأذيال المعاصي وإن كانت صغيرة!!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [النساء: ٩]

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٨٢]

بركة الصلاح والتقوى لا تنتهي في الدنيا بموت العبد الصالح، بل تظل هذه البركة ممتدة من بعده، يسخر الله تعالى بها الأسباب لمن تركهم خلفه، وهذا من إحسان الله تعالى للعبد الصالح.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٠]

فإحسانك أيها المؤمن في الدنيا سيقابله الله تعالى بإحسان في حياتك، ولمن يهمك أمرهم بعد مماتك، وإحسان لك في الآخرة.

فقط كن تقيًّا محسنًا، وسر في الدنيا لا تحمل لها همًّا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٩]

آية عظيمة، جمعت أسباب النجاح والوصول، وبترتيب فائق الدقة، والأسباب هي:

إرادة وسعي ينبعان من إيمان يحركهما..

فبدون إرادة لن يتحرك الإنسان من الأساس، وبدون سعي لا معنى للإرادة، فالسعي هو الحركة في طريق تحقيق الوصول..

أما الإيمان بما تفعل، فهو الوقود للبقاء على الطريق كي تشغل إرادتك، وتشحن همتك وتركز على هدفك فلا يفتر سعيك، فالإيمان هو ما يجعل للإرادة والسعي معنى من الأساس، وإن غاب المعنى في أي لحظة فترت الإرادة وتوقف السعي!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧]

أعد الله تعالى لعباده المؤمنين ما لا يستطيع العقل تصوره من نعيم ولذة؛ ليظل القلب معلقًا بجوده وكرمه تعالى، ويظل العقل حائرًا مع تصوراته، فتشتهي النفس ما عند خالقها من نعيم لم تعهده ولم تألفه ولم تعرفه، ولم تصل إليه تصورات العقل؛ فيكون ذلك حافزًا لها للاستزادة من العبادة؛ طمعًا فيما عند خالقها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الروم: ٤٤]

كما أن طريق الألف ميل يبدأ بخطوة، ولن تُقطع الألف ميل إلا بتلك الخطوات التي تخطوها حتى وإن كانت صغيرة، فإن الطريق إلى الجنة كذلك.

لا تستصغر أي خطوة تخطوها فيه، حتى وإن كانت صدقة بسيطة..

ابتسامة تجبر بها خاطر إنسان..

كلمة طيبة..

مساعدة بسيطة لمحتاج..

كف أذى..

لا تستصغر أي عمل قصدت به وجه الله تعالى،

بل افعله وأكثر من هذه الأعمال..

ربما كانت أعمالًا بسيطة ولكن حتمًا مردودها كبير،

وبها تمهد لنفسك طريق الجنة.

فقط.. أحسن نيتك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢ - ٣]

شيء جميل أن تكون مقتنعًا بشيء نبيل وتحاول أن تقنع الآخرين به، ولكن الأهم من هذا أن يكون منعكسًا على سلوكك، فقوة إقناع السلوك أقوى بكثير من الكلام مهما بلغت فصاحة اللسان.

ومن الأشياء التي يمقتها الله تعالى في المؤمن أن يقول ما لا يفعل.. لماذا؟

لأنه عندما ينبهر الناس بكلام شخص ما ويقتنعون به، ثم يرون عكس ما يقول في تصرفاته، ربما كرهوا ذلك الشخص وكفروا بكلامه.

السلوك لغته واضحة، مفرداته مؤثرة، وإن كان صاحبه لا يعرف الكلام!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧]

عوِّد نفسك على التفكر الدائم في نعم الله تعالى عليك، فهذا أدعى للشكر وترسيخ الإيمان.

ما أعظمك يا ألله! فمهما شكرناك على نعمك لن نوفيك حقك!

وهذا للنعم الظاهرة.

فكم من نعم تجود علينا بها ولم ندركها!

كم منعت عنا شرًّا كنا نحسبه خيرًا!

كم كففت عنا أذًى ربما لم نعلم عنه شيئًا!

عظيم أنت يا ألله.. تقبل من عبادك القليل، وتغدق عليهم بالكثير!

رحمتك سبقت غضبك.

ومغفرتك سبقت عذابك.

نِعم المولى ونِعم النصير!

١٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء: ٧٧]

﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء: ٧٧]

ليطمئن قلبك أيها الإنسان، لا تشعر بالهضم أو الظلم، فمن ظلمك فقد ظلم نفسه أولًا، حين طمع في قليل زائل، ولكنه سيفسد عليه آخرته!!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح: ٤]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس: ٢٦]

أنت عليك البداية.... وعلى الله تعالى الزيادة.

١٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) ﴾ [النور: ٣٥]

فهلَّا سألت نفسك -إذا أحسست بظلمة في صدرك أو قلبك-: ما الذي يحول بينك وبين هذا النور العظيم الذي ملأ الكون كله؟!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠) ﴾ [النور: ٤٠]

حطم حواجز المعصية، دع نور الله يغمرك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤]

آية تجعلك تفكر ألف مرة في تصرفاتك، تستجوب خواطرك..

تستجوب دوافعك..

تمحص نواياك..

فأنت من تسطر الآن كتابك بأفعالك وأقوالك، وأنت من ستشهد على صحة كتابك، والنتيجة: إما نجاتك أو هلاكك!!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]

اختصر على نفسك الطريق يا صاحِ، ولا تبث شكواك إلا لله تعالى.

فِرَّ منه إليه، فلا كاشف ما أصابك به إلا إياه، ولن يرد فضله عنك أحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ [مريم: ٢١]

كم من الاطمئنان واليقين والإقبال في هذه الآية الكريمة!

نعم... هو عليه تعالى هين.

مهما تعاظمت الأمور حولك، استحضر قدرته المطلقة وأنت تدعوه بيقين، فهو لا يعجزه شيء.

عش معنى هذه الآية وأنت تدعوه، وكن على يقين بأنه لن يتركك، ومهما حدث، تأكد أن الخيرة فيما اختاره الله تعالى لك، طالما أنت تدعوه بذلك اليقين.

٢٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح: ٤]

ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم.

كلما اقتربت من الله تعالى بالأعمال التي يحبها، بكثرة دعائك وخضوعك وذكره، بتلاوتك لكلامه؛ ستشعر بشيء غريب يتسلل إلى قلبك:

مكتبة
t.me/soramnqraa

هدوء..

راحة..

اطمئنان..

ستشعر بطاقة حب هائلة، طاقة تجعلك تريد مسامحة من حولك، تشعر أنك دخلت حرمًا آمنًا لا حزن فيه ولا خوف ولا تعب.

نعم... إنها السكينة التي ينزلها الله تعالى على قلبك لتستزيد إيمانًا..

تستزيد طاعة... فقط، بادر بالطاعة!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ [هود: ٨١]

توجيه رباني عظيم..

عندما تقرر أن تبدأ بداية جديدة، لا تحاول الالتفات لما ستتركه..

لا تلتفت للذكريات المؤلمة..

لا تلتفت للمثبطين..

لا تلتفت لمن يريد جرك لمستنقعه..

لا تلتفت...لا تلتفت.

لا تلتفت بنظرك..

لا تلتفت بعقلك..

لا تلتفت بقلبك.

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ [هود: ٨١]

إنه مبدأ صحيح ولا غرو.

الالتفات ربما جعلك تتردد

ربما أرهقك بالحنين..

ربما أوجعك بالتحسر..

الالتفات لن يجبر كسرًا، ولن يخفف وجعًا، ولن يعيد فائتًا.

طالما أنت واثق من وجهتك، غير نادم على ما تركت، عازم أن تنجو بنفسك وروحك فلا تلتفت.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٥]

(نذرتُ لك... محررًا)..

قمة الحرية أن تكون عبدًا مخلصًا لله تعالى فقط، متعلقًا به، محررًا قلبك من شواغل الدنيا .

٢٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء: ٨٦]

لا تبخل بالزيادة، ولا تسمح لأحد أن يثنيك عن فعل الخير، ولا تستمع لنفسك حينما تسول لك أن تتعامل بالمثل في الخير بدون زيادة.

كن من المحسنين، فإن الله يحاسبك على كل شيء، صغيره وكبيره.

صحيح أنك لن ترى مردود أشياء كثيرة في الدنيا، خصوصًا في المعاملات.

لا تتعجل لأنك حتمًا ستجدها وستفرح بها في الآخرة، هي أشياء صغيرة، ربما ستتناساها ولكن الله لا ينسى.

هل تعتقد يا صديقي أن الخير خفيف على القلب؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفجر: ٢٤]

حتى لا يصيبك شعور الملل وفقدان الرغبة يومًا ما،

يجب أن يكون لك مشروع تعمل فيه، ليس مشروعًا كأي مشروع، بل مشروع حياة!

أقصد بالحياة هنا، الحياة الحقيقية التي أخبرنا الله تعالى عنها.

لا تخدعنك الدنيا بزينتها وتداهمك بأحداثها؛ فتوهمك بأنها الحياة الحقيقية.

لا تؤثرها فتندم وتكون ممن سيقول يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفجر: ٢٤]

مشاريع الدنيا تجعلنا أحيانًا نحزن...

نشعر بفقدان الرغبة، العجز، التنافس الذي يولد الأحقاد والضغائن.

نشعر بفوات الأمر، اليأس، الظلم وضيق الصدر، كل هذا لأنها تجعلنا في حالة شغل بما هو عاجل وفانٍ، ولكن إن أشغلت نفسك بآخرتك، بحياتك الحقيقية، بدار مستقرك؛ ستتبدل الأمور ولن تشعر بفراغ، وستدمن التجارة مع الله والتعامل المربح المربح معه، ولن تتمكن

منك المشاعر الدنيوية الثقيلة.

نعم، من الطبيعي أن تشعر بها من آنٍ لآخر، فأنت ما زلت تعيش وتعمل في الدنيا، ولكن تذكر أنك لا تعمل لها؛ حتى لا تتمكن من التجذر فيك والنيل منك؛ لذلك، قدِّم لحياتك الحقيقية، واشغل نفسك من الآن بمشروع لآخرتك.

إن الخير ثقيل، ثقيل جدًا، ولا يتحمله إلا قلب سليم ونفس قوية.

فالتحديات التي يقابلها الإنسان في حياته تضعه كثيرًا في حالة استجواب لقناعاته وخصاله والخير الذي يحمله في قلبه.

وإن أدرك أن ذلك الثقل الذي يشعر به من تلك التحديات هو ثقل الخير، لثبت وواجه بشجاعة ليحافظ على سلامة قلبه، فهو ذخره العظيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]

اثبت... فما لك إلا قلبك

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾

[الإسراء: ١٤]

الجلسة التي يتهرب الكثير منها في الدنيا حتى لا يعكروا صفو أمرجتهم اللحظية، سيفعلونها في الآخرة وسيحاسبون أنفسهم.

هذه الجلسة خير برهان أنه لا يعلم بك بعد ربك إلا نفسك، فلا تشكل حياتك برأي الآخرين، وأحيانًا حماقاتهم، ولا تصدق كل كلمة تقال لك في شخصك، بل قدم لنفسك معروفًا.

جالس نفسك الآن لتعرفها وتناقشها وتحاسبها، واعلم أن من عرف نفسه وعمل على تزكيتها، تهاوت كلمات الناس وآراؤهم على أعتاب الحدود التي سيشكلها وعيه بذاته.

الباب الرابع
همسات

أرح بالك يا صديقي..

فبعض الأشياء التي تقلق منامك، لا وجود لها على أرض الواقع.

بعض الخيالات المستقبلية التي ينسجها عقلك ليست صحيحة.

من تظنه يتجاهلك، ربما هو فقط لا يفكر بك من الأساس، فعنده ما يكفيه من أمور الحياة التي تشغله عنك، ولا تتوقع أسفًا من أحد، فربما هو الآخر ينتظر أسفك!

أرح بالك يا صديقى..

فالغد الذي تخاف منه، ربما لست من أهله، وربما لو أرحت نفسك وعقلك وقلبك وبدنك، لفكرت أفضل وتصرفت أفضل، وغيرت نحو الأفضل.

أرح بالك يا صديقى..

أحيانًا في اليأس نجاة..

نجاة من الانتظار غير المنطقى..

نجاة من البحث..

نجاة من إهدار الوقت.

فما لا تتضح لك معالمه ومقاصده، أرح نفسك عنه.

أرح بالك يا صديقي..

فأمرك ليس بيدك..
أمرك بيد خالقك..
ضع أمرك بيده وحده..
اطمئن
ونم قرير العين.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : «خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ : عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي ، فَقِيلَ : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، ثُمَّ قِيلَ لِي : انْظُرْ ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ ، فَقِيلَ لِي : انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ ، فَقِيلَ : هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ»[1].

(والنبي ليس معه أحد)....

هذا النبي الذي ليس معه أحد يمكن أن نتخذه قدوة لنا هذه الأيام، فالأنبياء جميعهم لنا قدوة.

هذا النبي الذي ليس معه أحد فعل ما في وسعه، بلَّغ أمانته، استنكره قومه، ولكنه حُشر مع الأنبياء.

افعل ما عليك دائمًا، لا تعجز، قم بمسؤولياتك على أكمل وجه، رغم التحديات.

اهتم بما تقابل به ربك ولا تلتفت للمردود الدنيوي.

---

(١) الراوي : عبدالله بن عباس، المحدث : مسلم ، المصدر : صحيح مسلم، التخريج : أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠) واللفظ له

يا صديقي... أنت بخير طالما أن لك نفسًا تلومك على المعاصي، فلا تعد لذنب تركته لأجل الله تعالى، أتريد أن تسترجع ما تقيأت روحك؟!

يا صديقي.... نحن جميعًا في الطريق نسعى جاهدين للتخلي عن رذائلنا والتحلي بالمكارم لإكمال فضائلنا، رغم معرفتنا أننا لن نكتمل، ولكن هذا هو الطريق الوحيد لتضميد عيوبنا والحفاظ على فضائل أنفسنا، فلا تَحِد عن الطريق وإن بدا لك موحشًا!

يا صديقي... أتراك يئست ومللت من نفسك؟

اعلم أن الله تعالى لم يمل منك، ولن يمل حتى تمل أنت من نفسك فتترك طريقه.

إياك ثم إياك أن تيأس أو تمل من نفسك؛ فتسول لك نفسك القنوط من رحمة الله! وكيف تيأس من رحمته وهو الذي يغفر الذنوب جميعًا ولا يبالي؟!

يرحم..

ويكرم..

ويجبر..

يا صديقي.. لا تقلق، لا تهن ولا تحزن، فأنت بخير... لأن الله ربك

عاهد نفسك..

إن رأيت عيبًا في شخص فاستره ولا تحدِّث به الناس فتفضحه.

وإن رأيته على معصية فانصحه، ولتكن نصيحتك له سرًّا حتى يستجيب لك، أو على الأقل يستمع لك دون أن تحرجه، وله الحرية في الأخذ بنصيحتك أو تجاهلها..

وإن لم تكن لديك الجرأة للنصيحة فالصمت أولى بك، وادعُ له بقلبك أن يتركها.

وإن وصلك عنه كلام سيئ فدعه يتوقف عندك ولا تنقله..

كن مؤمنًا مؤتمنًا، خالصًا مخلصًا خفيفًا، لا تحمل أوزارًا لا تخصك.

قال رسول اللهﷺ: مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيصْمُتْ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ.[1]

---

(١) الراوي : أبو هريرة ، المحدث : مسلم، المصدر : صحيح مسلم، التخريج أخرجه البخاري و مسلم

خلقك الله تعالى وعلمك وأعلمك،
فلا تتسول قيمتك من أحد!

اتباعك لأوامر الله تعالى واجتنابك لنواهيه ليس بالأمر الشاق، وإن سولت لك نفسك ذلك!

ففي الحقيقة نفسك هي التي تأمرك بالسوء لتشق عليك، والله يأمرك بالتقوى ليخفف عنك ثقل نفسك.

المعاصي وإن كانت سهلة أو مستساغة للنفس، فإن لها ثقلًا خاصًا على الفطرة والروح؛ فتشعرك بالاختناق.

والطاعات وإن كانت مرهقة للبدن، ثقيلة أحيانًا على النفس، فإنها تخفف على الروح ثقل الحياة، فما أنت أيها الإنسان إلا كائن ضعيف، وما أراد الله بك إلا خيرًا وتخفيفًا، فإن ضاقت عليك نفسك وأثقلتك بالمعاصي، فر إلى وسع الطاعة لتخفف عنك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٨]

الصحبة الصالحة تحقق للإنسان "السوية النفسية "، حتى وإن كان سويًا وحده، لأنها تساعده على "الثبات" أمام التحديات النفسية اللانهائية.

فاصبر نفسك معهم

نقطة الماء المستمرة تحفر عمق الصخرة.

(ابن حزم).

وهكذا تزكية النفس، فلا تستصغر أي عمل تقوم به في سبيل الارتقاء والعناية بها، بشرط الاستمرار والصبر عليه وسوف ترى النتيجة حتمًا.

حاول أن تفعل كل خير تستطيع فعله قبل موتك.

لا تؤجل عمل الخير إلى الغد.

لا تكتم كلمة خير تعرف أنها ستسعد وتساعد بها غيرك.

استخدم من طاقتك لمساعدة غيرك.

لا تمت ولديك مخزون خير في قلبك لم تخرجه أفعالًا أو أقوالًا، فهذه الأفعال والأقوال هي أنت..

هي ما ستمثلك بعد موتك، هي سيرتك الجميلة، والعكس صحيح للشر..

حاول أن تميته داخلك قبل أن تموت حتى لا يبقى هو الذي يمثلك بعد موتك..

لا تخرجه أفعالًا أو أقوالًا

نحن نموت.... ويبقى خيرنا أو شرنا.

والاختيار لمن يبقى بعدك لك!

تعود على استجواب نفسك..
استجواب مشاعرك..
استجواب أفكارك..
استجواب نواياك..
حتى لا يكون للعشوائية دور في حياتك.

ولا تسمح للسانك بنطق الكلمات عشوائيًا دون تفكير، متحججًا بأن ما في القلب ينطقه اللسان، فبعض الكلمات تخرج فتذبح، إذا خرجت بدون وعي أو داع واضح.

ولا تسمح لنفسك أيضًا بالتصرفات العشوائية التي يكون سببها الغيرة اللحظية أو الانفعال اللحظي، فبعض التصرفات غير المحسوبة لا تُغتفر.

ومن ناحية أخرى، لا تسمح لتصرفات الآخرين أو كلماتهم العشوائية أن تفسد عليك حياتك، أو تدنس فضائلك.

طهر حياتك من العشوائيات...
صن نفسك ومشاعرك...

فصيانتك لمشاعر الآخرين ما هي إلا صيانة لمشاعرك، فكل ساقٍ سيتجرع من نفس الكأس التي سقى منها الآخرين.

وما ربك بظلام للعبيد.

إنَّ في بعض النقصان كمالًا، فلولا النقصان ما اكتملت فكرة العبودية لله تعالى، ولولا شعورنا بالحاجة ما لجأنا إليه تعالى.

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

لقد وهبنا الله تعالى «نعمة» الشعور بالنقص والافتقار إليه؛ حتى يرسخ فينا مفهوم العبودية الحقيقي، ويساعدنا على اللجوء والتسليم الكامل له.

المشكلة تظهر حينما يحول الإنسان تلك النعمة إلى نقمة، ويذل نفسه للبشر وما لأحد عنده من نعمة تجزى، أو تأخذه العزة بالإثم فيترك نفسه للاكتئاب والحيرة والاختناق، ولو أنه لجأ إلى الله تعالى حق اللجوء؛ لشعر بالعز والاستغناء والسكينة والطمأنينة والسلام الحقيقي.

سبحان من جعل في الافتقار والذل إليه عزةً واستغناءً عن البشر!

سبحان من جعل في النقصان كمالًا! هذا فقط لمن وعى!

قال أحد الصالحين: «سِيروا إلى الله عرجى ومكاسير، ولا تنْتَظروا الصِّحة، فإن انْتِظار الصحَّة بطالة».

أعجبتني تلك المقولة جدًّا..

فالطريق إلى الله تعالى يحتاج منك اقتحامًا لا انتظارًا، فإن انتظار الوقت المناسب عبارة عن عجز وانتكاس إرادة، والطاعة تحتاج عزيمة واقتحامًا، رغم أنف ركون النفس إلى الدنيا.

سألني أحدهم: ما هي أكثر الفضائل أهمية بالنسبة لك؟

قلت: الصدق.

فالصدق يهدي إلى البر، والبر اسم جامع للخير كله، والبر يهدي إلى الجنة.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصِّدقَ يَهدي إلى البِرِّ وإِنَّ البِرَّ يَهدي إلى الجنَّةِ وإِنَّ الرَّجلَ ليصدقُ ويتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتبَ عندَ اللَّهِ صدِّيقًا وإِنَّ الكذبَ يَهدي إلى الفجورِ وإِنَّ الفجورَ يَهدي إلى النَّارِ وإِنَّ الرَّجُلَ ليَكذِبُ ويتحرَّى الكذِبَ حتَّى يُكتَبَ عندَ اللَّهِ كذَّابًا»[1]

الصدق هو لسان الضمير؛ لذلك تجد لسان ضمير الإنسان الصادق لاذعًا عليه، حتى يعيده إلى الطريق الصحيح..

لا يجعله يرتاح إن خالف طريق الحق.

إن طريق الإخلاص والإحسان والتقوى يبدأ بالصدق.

الصادق لا يرتاح للكذب، ولا لأهله، والنفاق لا يعرف إليه سبيلًا.

---

(١) الراوي : عبدالله بن مسعود ، المحدث : أبو نعيم ، المصدر : حلية الأولياء ، التخريج : أخرجه البخاري و مسلم

الصدق هو مقال المؤمن الصادق، وإن شعر أنه لا يستطيع قوله، لسبب أو لآخر، اعتنق الصمت ولكنه لا يخالف الحق.

تجد الإنسان الصادق هادئ البال والوجدان؛ لاتساق ظاهره مع باطنه، وهذا في حد ذاته نعمة كبيرة لا يفهمها البعض!

الإنسان الصادق له نصيب عالٍ من الفضائل جميعها، وإذا كان للفضائل مرشد، فالصدق أولى أن يكون المرشد!

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

أنت رحالة..

أنت رحالة..

تحمل متاعك وزادك أينما كنت، فأنت لا تعلم متى تنتهي رحلتك... وأين!

الدنيا ليست دار إقامتك، فلا تنشغل بها وفيها كثيرًا،

تزود منها كما أمرنا الله تعالى، ليس بالطعام والشراب فقط، فكثرتهما يثقلان بدنك، ويعطلان مسيرتك ويزهقان روحك..

بل تزود زاد الرحلة الحقيقية.

تزود بالتقوى..

فهي تخفف من وطأة المفاجآت..

تهوِّن وحشة الطريق

وتقيم صلب روحك

وتساعدك على المسير..

اثبت ولا تنشغل عن رحلتك برحلة غيرك كثيرًا، فكلٌّ مسؤولٌ عن رحلته..

متاعك وزادك الحقيقيان تحملهما داخلك، في قلبك..

تفقَّد متاعك، تفقَّد زادك، تفقَّد قلبك.... انتبه لطريقك.

المصادر

القرآن الكريم
صحيح البخاري
صحيح مسلم
صحيح ابن داود
تخريج المسند لشاكر
كتاب حلية الأولياء
شرح كتاب الشهاب
طريق الهجرتين و باب السعادتين لابن القيم
كتاب التفكير فريضة إسلامية لعباس محمود العقاد

مكتبة
t.me/soramnqraa

وَيُصلِحُ بَالَهُم

سألني أحدهم: لماذا يستطيع البعض العفو عن الآخرين بيسر، وآخرون لا يستطيعونه بل و ينكرونه؟

قلت: إن للنفس معارج، تعرج عليها كلما صفا القلب، و زاد من الله تعالى قربا، وحيثما كانت منزلتها على ذلك المعراج، يكون مد بصرها وكلما ارتفعت، تضاءلت أمامها أشياء كثيرة. أشياء لا يراها ولا يفعلها إلا من تشبثت أنفسهم بالقاع، فسهل عليها الترفع والعفو و تركت أمرها لله.

أما من لا يستطيعونه، فيحتاجون عزما للعروج، وبالنسبة لمن ينكرونه، فقلوبهم هي الضحية..لو كانوا يعلمون!

هي رحلة واحدة يا صاح. ولمن أراد الوصول إلى نفس مطمئنة عليه أن يخوضها بعزم و قوة، ان يجعل منها رحلة تزكية مستمرة لا ييأس و لا يعجز مهما صادف في حياته.

فلنجعل منها رحلة للوصول إلى نفس هادئة مطمئنة .

مكتبة
t.me/soramnqraa

www.darmolhimon.com
ISBN 978-9948-780-55-7
9 789948 780557

ملهمون للنشر والتوزيع
MOLHIMON

Designed by Maher Adnan